الفصل الثاني

(العلاقات النصية في سياق سورة)

الأحزاب (نموذجًا) في لغة القرآن الكريم

توطئة الفصل:

تمثل السورة القرآنية في سياقها العام نصًا مستقلاً ترابطت وتماسكت وحداته النصية داخل سياق عام أكبر هو النص القرآني. هذه جهة، ومن جهة أخرى تمثل السورة القرآنية في سياقها الخاص نصًا متداخلاً ومتشابكًا من خلال ارتباط وحداتها بغيرها من وحدات سياق النص القرآني العام.

والسياق المراد – هنا – كما أوضح علماؤنا – هو النظم – والنظم هو:" الترتيب الذي يقتضى تحقيق العلاقات بين وحدات النص وأجزائه جملاً وفقرات...؛ لأنه لا نظم في الوحدات النصية ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك".

وكذلك استعمله الشاطبي، فالسياق عنده:«اعتبار من جهة النظم الذي وجدنا عليه السورة؛ إذ هو ترتيب بالوحي لا مدخل فيه لآراء الرجال»[(١)]. وقد أوجب – رحمه الله تعالى – على المتفهم للقرآن «الالتفات إلى أول الكلام وآخره بحسب القضية وما اقتضاه الحال فيها، لا ينظر في أولها دون آخرها، ولا في آخرها دون أولها؛ فإن القضية وإن اشتملت على جمل بعضها متعلق بالبعض»[(٢)].

هذا، ويصوغ الإمام الطبري قانونًا يوضح فيه أهمية مراعاة وحدة السياق في فهم لغة القرآن الكريم، فيقول: «إلحاق معنى بعض ذلك ببعض أولى ما دام الكلام متسقة معانيه على سياق واحد، إلا أن تأتي دلالة على انقطاع بعض ذلك من بعض، فيعدل به عن معنى ما قبله»[(٣)]. يقرر – رحمه الله تعالى – بهذا أن وحدة

---

(١) الشاطبي، الموافقات ٤/ ٢٦٧.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٢٦٦.

(٣) الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٨/ ٥٢٤ - ٥٢٥، تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، بدون.

السياق أصل لا يعدل عنه إلا بدليل.

وقد أدرك نحاتنا ـ كما بين البحث من قبل ـ قيمة السياق في تحقيق التماسك والترابط بين أجزاء النص من خلال التماس العلاقات النحوية بينها. فمراعاة السياق وسيلة مهمة من وسائل الكشف عن وحدة النص، فبه ومن خلال منظومة علاقاته «يرتبط الكلام بعضه ببعض، ويتشبث بعضه ببعض؛ لئلا يكون مقطعًا منبترًا»[(١)].

كذلك أدرك علماء اللغة المحدثون قيمة العلاقات ، وذلك من خلال النظر في سياق النص الواحد، يقول جون لاينز: «إن الوحدات التي يتكون منها النص جملاً كانت أو غير جمل ليست مجرد وحدات متصلة بعضها مع بعض في سلسلة، إنما ينبغي ربطها بطريقة مناسبة من حيث السياق، وعلى النص في مجمله أن يتسم بسمات التماسك والترابط» [(٢)].

وهكذا القرآن الكريم يتسم في لغته من خلال السياق بوحدة النص الواحد. هذا ما لاحظه علماؤنا، يقول الإمام الشاطبي: «القرآن الكريم بجميع سوره كلام واحد أي يتوقف فهم بعضه على بعض بوجه ما؛ وذلك أنه يبين بعضه بعضًا؛ حتى إن كثيرًا منه لا يفهم معناه حق الفهم إلا بتفسير سورة أخرى»[(٣)].

وكما لاحظ العلماء وحدة النص القرآني من خلال سياقه العام لاحظوا – أيضًا – أن للسورة الواحدة سياقًا خاصًا؛ حيث يتألف القرآن الكريم من سور مفصول بينها معنى وابتداء، يعرف به انقضاء السورة وابتداء الأخرى، وبهذا الاعتبار فإن سورة الأحزاب – مثلاً - كلام واحد باعتبار النظم.

إن النظر في سياق السورة الواحدة يعين الناظر فيها على التماس تماسك وترابط وحداتها النصية، من خلال تحديد أنواع الجمل وطرائق الربط بينها، كما أنه يعين على معرفة المعنى الكلي للسورة، وترجيح المعاني الجزئية التي تتواءم مع ذلك المعنى الكلي لها.

---

(١) العز بن عبد السلام، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز: صـ٢٢١، المطبعة العامرة – مصر ١٣١٣هـ.

(٢) جون لاينز ، اللغة والمعنى واليساق صـ ٢١٩ ترجمة: عباس صادق. دار الشئون الثقافية. بغداد ١٩٧٨.

(٣) الشاطبي ، الموافقات ٤/ ٢٧٥.

هذا، وتختلف وحدة السياق في علاقاتها النصية عن الوحدة الموضوعية أو الوحدة الفكرية للسورة، فليس من غرض السورة القرآنية أن تكون ذات موضوع واحد، وإن حاول بعض الباحثين أو المفسرين – وهو المطلوب – أن يحدد لكل سورة من سور القرآن الكريم موضوعًا عامًا تدور حوله آياتها[١] . يقول الإمام الزركشي: «إنما أنزل القرآن على هذه الصفة من جمع أشياء مختلفة المعاني في السورة الواحدة، وفي الآي المجموعة القليلة العدد؛ ليكون أكثر لفائدته وأعم لمنفعته»[٢].

ليس الموضوع وحده هو الذي يحقق للسورة وحدتها، فمن السور ما تناول موضوعًا واحدًا، ومنها ما تناول عدة موضوعات، يقول الإمام الشاطبي: «الكلام المنظور فيه تارة يكون واحدًا بكل اعتبار، بمعنى أنه أنزل في قضية واحدة طالت أو قصرت، وعليه أكثر سور المفصل، وتارة يكون ممتدًا في الاعتبار، بمعنى أنه أنزل في قضايا متعددة...»[٣]. ومن ذلك سورة الأحزاب.

إن تعدد القضايا لا يؤثر في اتسام السور جميعًا بالوحدة النصية؛ فإن سورة البقرة مثلاً – كما يرى الإمام الشاطبي – كلام واحد باعتبار النظم»[٤].

وسورة الأحزاب رغم تعدد قضاياها وتباعد أغراضها وتنوع مقاصدها؛ ومن ثم يصعب لأول وهلة معرفة الصلة بينها، إلا أنها مع التأمل في سياقها تنكشف خيوطها ويظهر تناسقها.

إذن تتعدد القضايا وتتباعد الأغراض وتتنوع المقاصد في السورة الواحدة، وتأتي منظومة العلاقات النصية وتصل بين الأغراض والقضايا والمقاصد؛ حتى تتجلى جميعًا في نص واحدٍ متلاحمةً متماسكةً.

إن ذلك كله - لاشك - كان باعثًا لأن يقع الاختيار على هذه السورة (سورة الأحزاب)؛ ليستبين لنا تناسقها والتحامها من خلال الكشف عن العلاقات النصية بين

---

(١) راجع في ذلك – على سبيل المثال – سيد قطب ، في ظلال القرآن ٥/ ٢٨١٨.

(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٠٥.

(٣) الشاطبي، الموافقات ٤/ ٢٦٦.

(٤) المصدر السابق ٤/ ٢٦٨. وراجع: د. محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن الكريم صـ ١٦٣ إلى آخر الكتاب.

جملها، وفقراتها أو أقطوعاتها، وقطعها، ومقاطعها. هذا من جانب، وترابطها وتماسكها بسياق النص القرآني العام في وحداته وقطاعاته. وهذا جانب آخر.

ولدراسة هذه السورة وتحليلها جاء تصور هذا الفصل في مبحثين:

أولهما: وعنوانه (سورة الأحزاب.. النص والبناء والإجراء) تناولت فيه ما بين يدي السورة من قضايا، وأغراض السورة ومقاصدها النصية، والملامح النصية التي وردت في سياقها ، ثم ختمت بالإجراءات المتبعة في التحليل النصي للسورة الكريمة.

والثاني: وعنوانه (فاعلية العلاقات النصية في سياق سورة الأحزاب) وتناولت فيه تحليلاً نصيًا للسورة الكريمة من خلال الكشف عن العلاقات النصية التي تجلت بها وحدات السورة وأجزاؤها نصًا واحدًا في سياق نص أكبر هو نص القرآن الكريم.

المبحث الأول

سورة الأحزاب

النص والبناء والإجراء

أولاً: بين يدي نص السورة الكريمة

سورة الأحزاب من السور التي نزلت بالمدينة فهي مدنية بالإجماع[1]. وكان «نزولها بعد سورة آل عمران، وقيل هي التسعون في عداد السور النازلة من القرآن، نزلت بعد سورة الأنفال، وقبل سورة المائدة»[2].

ومن المعلوم أن السور المدنية أو الآيات التي نزلت في المدينة تتميز بالطول نسبيًا، هذا إذا ما قورنت بالسور والآيات المكية، كما أنها تهتم بالتشريع وأحكامه وشئون الناس في معاشهم ومعادهم. هذا إلى اهتمامها بالحديث عن أهل الكتب وبيان مواقفهم من الرسل والأنبياء، وفضح هذه المواقف؛ لقبحها وسوء نوايا أهلها. كما أنها تهتم بالحديث عن المنافقين وكشف مخططاتهم للنيل من الإسلام والمسلمين والرسول ﷺ. هذا علاوة على اهتمامها بتشريع الجهاد وبيان نظامه وأحكامه[3]. وعلى هذا سنجد في سورة الأحزاب – لأنها مدنية – جوانب من تلك الاهتمامات المشار إليها، التي يغلب وجودها في السور والآيات المدنية. كما أنها – شأن القرآن الكريم في جميع سوره – لم تغفل جوانب برزت في السور والآيات المكية كالعقائد، وتوحيد الله ﷻ والاعتصام به، وذكر الأنبياء السابقين والساعة واليوم الآخر، وقد تخلل ذلك آيات السورة في مشاهدها المختلفة من أولها إلى آخرها. وبهذا تكون سورة الأحزاب قد جمعت بين الخصائص المدنية والخصائص المكية، وهذا هو شأن القرآن الكريم وأسلوبه في معظم سوره.

و«هكذا سميت (سورة الأحزاب) في المصاحف وكتب التفسير والسنة..، ولا

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣/ ٧٤١.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢١/ ٢٤٥.

(٣) راجع: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ١٦٣، دار الكتاب العربي، القاهرة، بدون.

يعرف لها اسم غيره. ووجه التسمية أن فيها ذكر الأحزاب المشركين من قريش ومن تحزَّب معهم؛ أرادوا غزو المسلمين في المدينة فردّ الله تعالى كيدهم، وكفى الله المؤمنين القتال»[١].

وعدد آيها ثلاث وسبعون باتفاق أصحاب العدد، وروي أنها كانت أطول من ذلك، وأنها كانت قريبًا من سورة (البقرة) ثم نسخ كثير من آياتها وأنسيها الصحابة، حتى أصبحت بهذا الحجم الذي نرى ونقرأ[٢].

ثانيًا: المقاصد النصية في سياق نص السورة الكريمة

لكثير من آيات هذه السورة أسباب لنزولها، وأكثرها نزل للرد على المنافقين أقوالاً قصدوا بها أذى النبي ﷺ[٣].

ومن ثم يمكن أن نحدد موضوعًا عاما لهذه السورة يدور في فلك أغراضها ومقاصدها النصية، وهو أن في جميع هذه السورة ذبًّا عن رسول الله ﷺ فيما أوذى به من أنواع الإيذاء: قتال الأحزاب له، ومعاونة المنافقين لهم، وطعن المنافقين في نكاحه عليه الصلاة والسلام بزينب رضي الله تعالى عنها، وطلب الأزواج الزيادة في الإنفاق، واشتغال بعض المسلمين بالأحاديث في بيته ﷺ، ونحو ذلك مما تأذى به النبي ﷺ. فهذا القدر هو المقصود الأصلي من السورة، وما سوى ذلك فهو إما توطئة لبعض ما هو مقصود، وإما مكمل له، يظهر كلٌّ من التأمل في النظم الكريم.

هذا، ويمكن إجمال المقاصد النصية للسورة الكريمة في النقاط التالية:

* قواعد المنهج الإسلامي.
* إبطال بعض آثار الجاهلية بتشريعات إسلامية.
* وحدة الدين والرسالات.
* غزوة الأحزاب ومواقف المؤمنين والمنافقين فيها.
* غزوة بني قريظة.

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢١/ ٢٤٥.
(٢) انظر: المصدر السابق ٢١/ ٢٤٥-٢٤٦.
(٣) انظر: المصدر السابق ٢١/ ٢٤٧.

* تخيير نساء النبي ﷺ، وتكليفهن، وتوجيهات لهن.
* التطبيق العملي لأمر الله تعالى.
* صلة المؤمنين بالله تعالى ورسوله ﷺ.
* وظيفة النبي ﷺ.
* من أحكام الطلاق قبل الدخول.
* من أحكام زواج النبي ﷺ.
* خصوصيات الرسول ﷺ ومنزلته، وعاقبة من يؤذيه والمؤمنين.
* حجاب المرأة المسلمة وموقف المنافقين.
* النهي عن إيذاء النبي ﷺ.
* الطريق إلى الفوز العظيم.

ثالثًا: ملامح نصية في سياق نص السورة الكريمة

ثمة ملامح نصية يمكن أن يدركها الناظر في سياق نص السورة الكريمة يرى البحث أنها كانت سببًا في تقسيمه – عمومًا – إلى شرائح أو وحدات نصية قابلة لإجراء التحليل النصي. وهي مجملة على النحو التالي:

* أول ملمح نلمحه في سياق نص السورة الكريمة أن جملتي النداء ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يتناوبان تناوبًا مطردًا، إلا في آخر السورة؛ إذ تتكرر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ مرتين: مرة لتأخذ نوبتها وراء نداء ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، ومرة لتقابل بداية السورة؛ إذ تبدأ السورة بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾. ويمكن ملاحظة ذلك على النحو التالي:

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا {١}﴾ [الآية: ١].

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا {٩}﴾ [الآية: ٩].

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً {٢٨}﴾ [الآية: ٢٨].

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا {٤١} وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً{٤٢}﴾ [الآية: ٤١، ٤٢].

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا {٤٥} وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا{٤٦}﴾ [الآية: ٤٥، ٤٦].

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً{٤٩}﴾ [الآية: ٤٩].

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ .....﴾ [الآية: ٥٠].

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى..﴾ [الآية: ٥٣].

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ.....﴾ [الآية: ٥٩].

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا{٦٩}﴾ [الآية: ٦٩].

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا{٧٠}﴾ [الآية: ٧٠].

ويشكل كل نداء من هذه النداءات – في منهج التحليل النصي – مقطعًا من مقاطع السورة الكريمة، عدا النداءين الأخيرين؛ فقد عدهما البحث مقطعًا واحدًا. ومن ثم يصير عدد المقاطع عشرة. هذه المقاطع العشرة هي المكون النصي لهذه السورة.

*كما يُلمح – أيضًا – في سياق نص السورة الكريمة بناء الوحدة النصية أو الوحدة الفنية، التي انقسمت إلى قسمين:

أولهما: وحدة الدلالة وأعني بها: تلك العناصر المفهومية المعنوية التي يتكون منها سياق نص السورة الكريمة كمواقف الإيذاء المتباينة في القصد والغرض ، أي: أن نص السورة الكريمة يتضمن مجموعة من الأفكار المختلفة التي تصب في النهاية في نهر واحد مثل فكرة الذبِّ عن رسول ﷺ فيما أوذى به من أنواع الإيذاء، كقتال الأحزاب له، ومعاونة المنافقين لهم، وطعن المنافقين في نكاحه ﷺ.. إلى غير ذلك من المواقف التي ترشد إلى فكرة واحدة ألا وهي الذب عن رسول الله ﷺ فيما أوذى به.

والثاني: وحدة العناصر اللفظية . وأعني بالعناصر اللفظية: تلك العناصر الصورية

الإيقاعية في سطح النص كتكرار الإيقاع الصوتي المتمثل في فواصل السورة؛ إذ نلمح في نص السورة تكرار حركة واحدة في رويّ الفواصل– وإن اختلفت الحروف في أواخر الكلمات – تلتزم السورة من أولها إلى آخرها، هذه الحركة هي الفتح. قال تعالى في بدايتها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، ويقول الله تعالى في ختامها: ﴿لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

والتزام الحركة الواحدة كالفتح مع اختلاف الحروف أمر ذوبال في موسيقى التقفية؛ لأن المألوف في الشعر العربي والسجع التزام الحركة وحرف الرويّ معًا[1].

* ويلحظ – أيضًا – الناظر في سياق نص السورة الكريمة ملامح من سورة النساء، وملامح من سورة المائدة، تبدأ سورة النساء بـ ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ**.....﴾ [النساء: ١] وتبدأ سورة الأحزاب بـ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ**.....﴾ وكما تتحدث سورة النساء في مقطعها الأول عن قضايا لها علاقة بالأسرة، فكذلك المقطع الأول من سورة الأحزاب.

ونلحظ في سورة المائدة قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ**﴾ [المائدة: ١١]. ونلحظ أن المقطع الثاني من سورة الأحزاب يبدأ بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا**....﴾ [الآية: ٩].

فالمقطع الأول من الأحزاب عليه ملامح سورة النساء، والمقطع الثاني عليه ملامح سورة المائدة. وهكذا بالتناوب، وهو موضوع سنرى – إن شاء الله تعالى – تفصيلاته أثناء التحليل.

* كما يلحظ الناظر في سياق نص السورة ملامح متداخلة ومتشابكة في سياق نصوص القرآن الكريم، وخاصة: آل عمران، والنساء، والمائدة، والأعراف، والتوبة، وهود، والسجدة، وسبأ، والشورى، والمجادلة، والصف، والنازعات، كل ذلك على

---

(١) راجع: محمد الحسناوي ، الفاصلة في القرآن صـ ٢٦٩ - ٢٧٠، المكتب الإسلامي، بيروت ، لبنان ، دار عمّار ، عمّان ، الأردن، بدون .

سبيل الاقتصاص أو الاستدعاء، وهو موضوع سنرى – إن شاء الله تعالى – تفصيلاته أثناء التحليل.

رابعًا: البناء النصي للسورة الكريمة وإجراءات التحليل

إن الناظر المدقق في سياق لغة السور القرآنية يمكنه إدراك أن كل سورة من السور الكريمة تخضع لنمط فنيٍّ في البناء مستنبط من سياقها، وأن هذا النمط البنائي قد يختلف من سورة إلى أخرى. فمن السور ما يتبع البناء الأفقي، ومنها ما يتبع البناء العمودي، ومنها ما يتبع البناء التمهيدي، ومنها ما يتبع البناء المقطعي.

- فالبناء الأفقي، وهو أن تبدأ السورة بتناول موضوع معين وتنتهي بطرح الموضوع ذاته، مثل سورة (المزمل) التي بدأت بالحديث عن قيام الليل وتحديده، قال تعالى: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً {١} نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً {٢} أَوْ زِدْ عَلَيْهِ .....﴾ [الآيات: من ١ - ٤]، ثم قطعت رحلة في موضوعات مختلفة ترتبط وتتماسك عن طريق العلاقات النصية، ثم بعد ذلك ختمت بنفس الموضوع، قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ....﴾ [الآية: ٢٠].

- وفي البناء **العمودي** تبدأ السورة بتناول موضوع معين، ثم تواصل معالجته متسلسلاً إلى نهايته. مثل سورة (نوح) التي بدأت بالحديث عن إنذار لقومه، قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** {١} **قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ**﴾ [الآيتان: ١، ٢]، ثم قطعت رحلة في عرض الإنذار ومواجهته، حتى ختمت بحادثة الطوفان، قال تعالى: ﴿ **مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا** .....﴾ [الآية: ٢٥].

- وفي البناء التمهيدي يكون كل واحدٍ من موضوعات السورة ممهدًا للموضوع الذي يليه، مثل سورة المطففين التي بدأت الحديث عن التطفيف، وربطته بالجزاء الأخروي، قال تعالى: ﴿ أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ {٤} لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الآيتان: ٤، ٥]، ثم تحدثت عن الجزاء الأخروي، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية: ٦]، ثم ربطته بالسلوك الدنيوي، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ {٢٩} وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ..... ﴾ [الآيتان: ٢٩ - ٣٠].

- أما البناء المقطعي فإن السورة فيه تتناول جملة من الموضوعات، ثم تقف عند نهاية كل مقطع منها أو عند بداية مقطع جديد منها، فتجعله محطة توقف لتعود إلى المحطة ذاتها بعد أن تقطع رحلة ما، وتكرر هذه الرحلات ويتكرر الوقوف عند نفس المحطة، ومثاله سورة المرسلات ؛ حيث ينتهي كل واحد من موضوعاتها عند مقطع يقول: قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الآيات:١٥، ١٩، ٢٤، ٢٨، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٥، ٤٧، ٤٩].

وكذلك سورة الأحزاب فإنها تبدأ المقطع بالنداء ﴿ يَا أَيُّهَا.....﴾ الذي هو بمثابة محطة بداية، ثم تعود إليه مرة أخرى بداية لمقطع جديد بالنداء ﴿ يَا أَيُّهَا.....﴾ مع اختلاف المنادي: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ.....﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا.....﴾. وفي كل مقطع يقطع موضوع أو رحلةٌ من الموضوعات، وتتكرر هذه الرحلات، وتتكرر البداية بالنداء ﴿ يَا أَيُّهَا.....﴾، ويتكرر الوقوف على معنى جزئي قبل البداية الجديدة بالنداء الجديد، وذلك بالتناوب من مبتدإ السورة إلى منتهاها.

إن هذا البناء المقطعي الذي يَتضحُ عليه نص السورة الكريمة كان سببًا أو داعيًا لأن تُتَخذ الإجراءات النصية التالية سبيلاً إلى تحليل نصي يُتبعُ في نقاط مرتبة على النحو التالي:

أولاً: تقسيم النص

(أ) تقسيم نص السورة الكريمة (القطاع) [١]، إلى وحدات نصية (مقاطع) على أنني أعني – هنا – بالمقطع: كل نص تصدر بالنداء ﴿ يَا أَيُّهَا.....﴾، ويمثل كل مقطع معنى يتشابك مع غيره في إطار التقسيم العام للمقاطع.

(ب) تقسيم النص (المقطع) إذا اقتضى المعنى إلى وحدات نصية (قطع)، وتمثل كل قطعة معنى يتشابك مع بقية أخواتها في التقسيم.

(جـ) تقسيم النص (القطعة) إذا اقتضى المعنى إلى وحدات نصية (أقطوعات أو فقرات) كل أقطوعة تمثل معنى يتشابك مع بقية أخواتها في التقسيم.

(د) تقسيم النص المدروس (المقطع أو القطعة أو الأقطوعة) إلى وحدات نصية[٢] (جمل أسياسية) [٣].

ثانيًا: ترقيم الوحدات النصية

(أ) ترقيم المقاطع في نص السورة (القطاع).

---

(١) تمثل كل سورة قطاعًا من قطاعات النص القرآني الذي هو بمثابة دائرة . وسورة الأحزاب تمثل قطاعا من قطاعات دائرته .

(٢) والوحدة النصية قد تكون قطاعا يتكون من مقاطع، وقد تكون مقطعًا يتكون من قطع، وقد تكون قطعة تتكون من أقطوعات أو فقرات، وقد تكون أقطوعة أو فقرة تتكون من جمل أساسية، وقد تكون جملة أساسية يتخللها جملة فرعية أو أكثر.

(٣) * تمثل كل جملة أساسية وحدة نصية صغرى في إطار النص الأكبر الذي يعلوها في التقسيم.

* قد تمثل الجملة الأساسية – حسب ما تقتضيه المعاني المكونة للنصوص المدروسة - قطاعًا في النص القرآني، أومقطعًا في قطاع، أو قطعة في المقطع، أو أقطوعة أو فقرة في قطعه.

(ب) ترقيم القطع في نص (المقطع).

(جـ) ترقيم الأقطواعات في نص (القطعة).

(د) ترقيم (الجمل الأساسية) في الوحدة النصية المدروسة.

ثالثًا: رصد العلاقات النصية بين الوحدات النصية المدروسة

(أ): العلاقات النصية المحلية ذات الترابط اللفظي والمفهومي.

(ب): العلاقات النصية الاستدعائية ذات الترابط اللفظي والمفهومي.

رابعًا: عمل جدول عام في نهاية التحليل النصي لنص السورة الكريمة

وجاء هذا الجدول بمثابة إحصاء ، فيه حصاد شامل لما ورد من الوحدات المرصودة وعلاقاتها النصية .

وتصوره ورسمه كان على النحو التالي:

الوحدات النصية						العلاقات النصية			
رقم المقطع	امتداد المقطع ومساحته (الآيات) (من -إلى)	عدد آيات المقطع	عدد القطع	عدد الأقطوعات	عدد الجمل	العلاقات النصية (المركزية المحلية)		العلاقات النصية (اللامركزية الاستدعائية)	
						علاقات الترابط اللفظي	علاقات الترابط المفهومي	علاقات الترابط اللفظي	علاقات الترابط المفهومي
-	-	-	-	-	-	–	–	–	–

وبعد ، فلينتقل البحث إلى المبحث الثاني، حيث التحليل النصي لنص السورة الكريمة ؛ لنرى دور العلاقات النصية المتنوعة في اللفظ والمفهوم ، وكذا فاعليتها في الربط والوصل بين الوحدات النصية المتباينة في المساحة والقصد.

المبحث الثاني

فاعلية العلاقات النصية في سياق سورة الأحزاب

في البداية – وقبل الخوض في التحليل النصي لهذه السورة؛ بغية الوقوف على العلاقات النصية وفاعليتها في تماسك وترابط وحداتها – أذكر – كما وضح البحث من قبل – أن عمارة وبناء نص السورة الكريمة يتكون من مقاطع نصية تشابهت جميعها؛ حيث افتتاح كل مقطع منها بجملة النداء، مع الاختلاف الأسلوبي للعنصر المخاطب أو المنادى؛ فتارة يكون المنادى هو النبي ﷺ. ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، وتارة أخرى يكون المؤمنين، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وذلك بالتناوب من مبتدأ السورة إلى منتهاها.

ومن ثم كان هذا المؤشر الأسلوبي داعيًا لأن يكون التقسيم المقطعي هو المنهج المتبع في التحليل. وعليه سيأخذ البحث في تحليل نص السورة مقطعًا مقطعًا؛ لنرى كيف ترابط وتماسك المقطع في وحداته. هذا من جهة، ومن جهة ثانية كيف تماسك وترابط مع غيره من المقاطع ، التي تماسكت هي نفسها وترابطت مع وحدات لغة النص القرآني. وهذه جهة ثالثة.

المقطع الأول

ويمتد من الآية (الأولى) إلى نهاية الآية (الثامنة)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا {١} **وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** {٢} وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً[1] {٣} مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاَّئِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ {٤} ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا {٥} النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا[2] {٦} وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ

النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا {٧} لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا {٨}﴾ [الأحزاب: ١ - ٨].

والمقطع الذي بين أيدينا يقوم بناؤه من حيث المستوى الأفقي على عدد من الجمل الأساسية، مع مراعاة أن الجملة بطبيعة الحال تعني كل ما يتعلق بها.

ومن حيث المستوى الرأسي نجد أن هذا المقطع – حسب مقاصده النصية – مكون من ثلاث قطع، كل قطعة منها تتماسك وترتبط بعضها مع بعض. هذه جهة . كما أنها تتماسك وترتبط مع غيرها من وحدات المقطع وهذه جهة ثانية. وتتماسك وترتبط – أيضًا – مع وحدات نصية أخرى من مقاطع السورة وهذه جهة ثالثة. وبالاستدعاء النصي تتماسك وتتلاحم – أيضًا – مع وحدات نصية في لغة النص القرآني وهذه جهة رابعة. كل ذلك من خلال شبكة العلاقات النصية.

بعد هذا يأخذ البحث في التفصيل، فيتناول هذا البناء قطعة قطعة.

القطعة الأولى

وتمتد من الآية (الأولى) إلى نهاية الآية (الثالثة)

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا {١} وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا {٢} وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً {٣}﴾ [الآيات: ١ - ٣].

تتكون هذه القطعة من سبع جمل أساسية ترتبط جميعها وتتلاحم مع غيرها من الوحدات النصية من خلال العلاقات النصية ذات الترابط اللفظي، والترابط المفهومي.

في البداية يتضح من خلال قراءة هذه القطعة أن مفاهيمها الجزئية ترتبط وتتلاحم من خلال العلاقات الدلالية التالية:

- علاقة الجمع

فقوله تعالى: ﴿وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ معطوف على قوله: ﴿اتَّقِ اللهَ﴾ وهو من قبيل عطف الخاص على العام؛ لأن الأمر بالتقوى متناول للنهي عن طاعة الكافرين،

والمنافقين[١].

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ﴾ معطوف على قوله ﴿اتَّقِ اللهَ﴾ وهو من قبيل عطف العام على الخاص؛ زيادة في التقوية والتقرير، وكأن هذا أمر ثالث بعدم طاعته الكافرين والمنافقين؛ لدخوله في الأمر باتباع الوحي[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ معطوف – أيضًا – على قوله: ﴿اتَّقِ اللهَ﴾ موصول به.

فتقوى الله، وعدم طاعة الكافرين والمنافقين، واتباع الوحي، والتوكل على الله تعالى هو المعنى الكبير الذي تقوم عليه شرائع الدين وتوجيهاته. ومن ثم لعبت علاقة الجمع - عبر العطف بالواو – دورًا فاعلاً في الربط والوصل بين هذه المفاهيم الأربعة.

- علاقة التعليل

وتتضح هذه العلاقة من خلال قراءة هاتين الفاصلتين: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾. فكل منهما جاء ردفًا يعلل ما قبله. فالجملة الأولى جاءت تعليلاً للنهي في قوله: ﴿**وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ**﴾، والثانية جاءت تعلل الأمر في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ﴾.

- علاقة التوكيد

وهذه العلاقة مُفادةٌ من قوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾؛ حيث جاءت هذه الجملة تؤكد الأمر في قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾.

- علاقة المقابلة

وهذه العلاقة مُفادة من قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ..... وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ﴾. فالرابط بين الجملتين: (ولا تطع....)، و(اتبع....) علاقة مقابلة.

---

(١) انظر: الألوسي، روح المعاني ٢١/ ١٤٣.

(٢) المصدر السابق ٢١/ ١٤٣.

كما تماسكت – أيضًا – هذه المفاهيم وترابطت من خلال علاقة نصية أخرى، هي علاقة الإحالة؛ حيث جاء ضمير المخاطب المستتر محيلاً إلى محور هذا المقطع (النبي) ﷺ على النحو التالي: «يا أيها النبي اتق (أنت) الله ← ولاتطع (أنت) ← واتبع (أنت) ← وتوكل (أنت)...» والمرجعية – كما هو واضح – مرجعية سابقة.

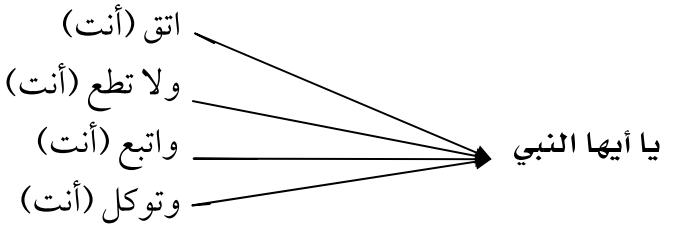

كما لعبت علاقة التكرار دورًا فاعلاً في قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الله وَكَفَى بِالله وَكِيلاً﴾؛ حيث الجناس الاشتقاقي أو التكرار بالاشتقاق بين (وكيلًا)، و(توكل).

ومن الملاحظ أن بداية كل جملة من جمل المفاهيم الأربعة موجهة إلى مخاطب واحد، فاتحاد جهة الخطاب – لا شك – أدى إلى تماسك وترابط هذه المفاهيم: «يا أيها النبي: اتق، ولا تطع، واتبع، وتوكل».

والتقوى، وترك طاعة الكافرين والمنافقين، واتباع الوحي كلها تحتاج – لا شك – إلى التوكل على الله، و من ثم جاء الأمر بالتوكل. وفي هذا – أيضًا – تماسك وترابط بين المفاهيم.

هذا، وقد جرت عادة المفسرين أن يذكروا العلاقة بين السورتين أو بين مطلع السورة ومقطع ما قبلها، وقد ربطت علاقة الاستدعاء بالمشابهة والإتمام ووصلت بين مطلع هذه القطعة من المقطع الأول في السورة الكريمة ومقطع وخاتمة السورة التي قبلها، وهي سورة السجدة، فقد قُطعت سورة السجدة واختتمت بقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ [السجدة: ٣٠]، والخطاب - هنا – موجه للنبي ﷺ؛ بأن يعرض «عن مشركي قريش مكة»[١]. وفي هذه السورة الكريمة – كما نرى – توجيه للنبي ﷺ - أيضًا - «بالإعراض عن الكافرين وانتظار عذابهم. ومطلع هذه: الأمر بتقوى الله وعدم طاعة الكافرين والمنافقين، فصارت – زيادة على المشابهة –

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن الكريم ٨/ ٥١٩٤.

كالتتمة لما ختمت به تلك – أي سورة السجدة -، حتى كأنهما سورة واحدة»[١].

وافتتاح السورة الكريمة بخطاب النبي ﷺ وهو المحور الرئيسي فيها - «مؤذن بأن الأهم من سوق هذه السورة يتعلق بأحول النبي ﷺ. وقد نودي فيها خمس مرات في افتتاح أغراض مختلفة من التشريع بعضها خاص به، وبعضها يتعلق بغيره ﷺ، وله ملابسة به»[٢]، وهذا – أيضًا – وجه آخر من وجوه التماسك والترابط بين هذا المقطع ومقاطع السورة نفسها.

«فالنداء الأول لافتتاح غرض تحديد واجبات رسالته ﷺ نحو ربه.

والنداء الثاني لافتتاح غرض التنويه بمقام أزواجه واقترابه من مقامه.

والنداء الثالث لافتتاح بيان تحديد تقلبات شؤون رسالته في معاملة الأمة.

والنداء الرابع في طالعة غرض أحكام تزوجه وسيرته مع نسائه.

والنداء الخامس في غرض تبليغه ﷺ آداب النساء من أهل بيته والمؤمنات»[٣].

فهذا النداء الأول المفتتحُ به الغرض الأصلي لبقية الأغراض - وهو – كما أوضح البحث – تحديد لواجبات رسالته - يعدُّ بـ(علاقة الاستدعاء بالمشابهة) نظير النداء في قوله تعالى من سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقوله تعالى من سورة المائدة -أيضًا -: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

هذا، وقبل ترك هذه القطعة النصية والانتقال بالتحليل إلى القطعة التالية من هذا المقطع يوضح البحث: أنه ما دامت هذه المفاهيم الأربعة: تقوى الله، وترك طاعة الكافرين والمنافقين، واتباع الوحي، والتوكل عليه سبحانه قد استقرت، وأخذت حيزًا في مقدمة هذا المقطع كان على السياق أن يبدأ بهدم قاعدة (التبني) المتعارف عليها عند العرب، والتي كانت عميقة عندهم، والتي سيترتب على هدمها قيل، وقال، فناسب ذلك أن يسبق الكلام عنها هذه المقدمة، وتلك حكمة وجود هذه المقدمة. ومن ثم

---

(١) السيوطي: تناسق الدرر في تناسب السور صـ ١٢٦.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢١/ ٢٤٩.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢١/ ٢٤٩.

كانت هذه القطعة بما اشتملت عليه من المفاهيم بمثابة التقديم لما يليها من قطع.

ومن هذا المنطلق يحدد البحث أن العلاقة الجامعة بين هذه القطعة وما يليها إنما هي علاقة توطئة وتقديم. «وعلى القارئ... كما يقول – أستاذنا الدكتور محمد حماسة – أن يتلطف... في التقاط هذه الخيوط؛ حتى لا تنقطع في يده»[1].

القطعة الثانية

وتمتد من الآية (الرابعة) إلى نهاية الآية (السادسة)

قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ/١ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاَّئِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ/٢ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ/٣ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ/٤ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ/٥ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ/٦ {٤} ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ/٧ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللهِ/٨ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ/٩ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ/١٠ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ/١١ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا/١٢ {٥} النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ/١٣ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ/١٤ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ/١٥ إِلاَّ أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا/١٦ كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا/١٧ {٦}﴾ [الآيات: ٤ - ٦].

هذه الآيات الثلاثة قطعة واحدة كسابقتها من المقطع المرصود، وهي مكونة من سبع عشرة جملة أسياسية تشابكت، وتلاحمت فيما بينها، وغيرها من الوحدات النصية الأخرى. ومضمونها النصي إبطال بعض الآثار الجاهلية بتشريعات إسلامية، ففيها يبطل الله تعالى بعض الأوضاع التي كانت سائدة في الجاهلية كالظهار والتبني، ويشرع إثبات النسب الصيحيح والأخوة في الدين، وتقديم النبي ﷺ في الحب والطاعة على سائر من سواه، وأمومة زوجاته ﷺ لسائر المؤمنين والمؤمنات، وإثبات التوارث بالقرابة والرحم بدل العصبة أو الهجرة.

ومن ثم جاءت الجملة الأولى **تمهيدًا** لإبطال هذه الأوضاع بحقيقة حسية، وأمر بدهي، وهو أنه لا يكون للشخص الواحد قلبان: ﴿**مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾ - فإن أقر الرجل الواحد أنه لا ينتظم ومعه قلبان، فكيف ينتظم أمر العالم وله

---

(١) د. محمد حماسة ، اللغة وبناء الشعر صـ ٥٤.

إلهان معبودان. والمعنى: أنه لا يمكن الجمع بين اتباعين متضادين: اتباع الوحي والقرآن، واتباع أهل الكفر والطغيان. فكما لا يجتمع قلبان في جوف واحد لا يجتمع اعتقادان متضادان في قلب واحد، وعليه فيكون نفي اجتماع القلبين في شخص واحد صالحًا **لنفي** ما قبله وهو اتباع الله واتباع الكافرين، ولنفي ما بعده وهو الظهار والتبني.

ومن الواضح البين أن هذه الجملة: ﴿**مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾ جاءت تربط بين هذه القطعة والتي قبلها، فهي بمثابة **واسطة العقد** بين القطعتين، فعلاقتها بما قبلها من الجمل **علاقة تمثيل** للتوكيد والتقرير، وعلاقتها بما بعدها **علاقة تمهيد**.

إذن فالجملة: ﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ تعد تمهيدًا للمقصود بعدها، فكما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه، وكما لا تصير زوجته التي يظاهر منها أمًا له. كذلك لا يصير الدعيّ ولدًا للرجل إذا تبناه فدعاه ابنًا له ؛ «لأن البنوة – كما يقول الإمام النسفي – أصالة في النسب، والدعوة إلصاق عارض بالتسمية لا غير، ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلاً غير أصيل»[1].

وهنا يأتي دور علاقة الجمع من خلال العطف بين الجمل الثلاثة: ﴿**مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ/ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاَّئِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ/ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ**﴾. ومن ثم ترابطت وتماسكت هذه الجمل لفظًا ومفهومًا. فالترابط اللفظي واضح من خلال العطف ، أما الترابط المفهومي فقد دلت عليه البنية العميقة الرابطة بين هذه المفاهيم الجزئية.

وتتماسك وترابط – أيضًا – هذه الجمل الثلاثة من خلال النسق المتشابه بينها؛ حيث نلحظ قوة التماثل، والتشابه ؛ فالمسند والمسند إليه مكرران في ثلاثتهما، مع الاختلاف في المتعلق بالمسند فقط. فهو في الأولى قلبان في جوف رجل، وفي الثانية أزواج، وفي الثالثة دعيٌّ صار ابنًا. وهذا التكرار شبه المتوازي في بناء الجمل «ما جعل الله...، وما جعل (هو)، وما جعل (هو)....» يؤكد تشابه معانيها، ومن ثم يؤكد الربط والوصل بينها. فضلا على ذلك ما تقوم به علاقة الإحالة من التماسك والترابط بينها،

---

(١) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٣/ ٢٩٥، مكتبة السعادة، القاهرة، ط: ١٣٢٩هـ.

فكما هو واضح جلي يحيل الضمير المستتر في الجملة الثانية والثالثة إلى العنصر الإشاري: لفظ الجلالة (الله) في الجملة الأولى.

وفي هذا السياق يحضرنا – بالاستدعاء – قوله تعالى من سورة المجادلة: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ {٢} وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ {٣} فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ {٤}﴾ [المجادلة: ٢- ٤]، والرابط بينه وبين هذه الجملة ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاَّئِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ من هذه القطعة في هذا المقطع هي علاقة التوضيح ؛ حيث جاء قوله تعالى في سورة المجادلة بـ«الزيادة والإيضاح لما تضمنته آية الأحزاب»[(١)].

كما يحضرنا - كذلك – تماسكًا وترابطًا بين هذا المقطع والمقطع الثالث قوله تعالى: **﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾** [الأحزاب: ٤٠]؛ حيث جاء يؤكد «قطع هذا الإلحاق، وهذه النسبة التي وردت في قوله تعالى: **﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾**»[(٢)].

هذا، وجاء قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ - وهو جملة مستأنفة – ليؤكد بطلان هذه العادات الجاهلية (الظهار والتبني) وهذه العلاقة – كما هو واضح – من قبيل الترابط المفهومي.

كما جاء ضمير الإشارة (ذلكم) المقرون بالخطاب (كم) – المتكرر في قوله: - أزواجكم، وأمهاتكم، أدعياءكم، وأبناءكم – للربط أيضًا؛ حيث أحال إلى هذه العادات، وهذه العلاقة أي: الإحالة بضمير الإشارة، وتلك أي: علاقة التكرار من قبيل الترابط اللفظي.

---

(١) الشنقطي، أضواء البيان ٦/ ٥٦٧.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣/ ٧٤٢.

وجاءت جملة: ﴿وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ متصلة بالجملة السابقة: ﴿ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ من خلال علاقة المقابلة ؛ لأن قول الحق يقابل قول الباطل الذي لا يكون إلا بالفم.

وترتبط جملة: ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ وتتماسك بالجملة التي قبلها ﴿وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ من خلال علاقات ثلاثة:

أولاها: علاقة الإحالة، فقد أحال ضمير الغائب إلى المسند إليه وهو لفظ الجلالة (الله) .

والثانية: العلاقة الجامعة بين(يقول الحق، و(يهدي السبيل)، فكلاهما من باب واحد. وكأن العلاقة – هنا – هي علاقة التناسب بين المعنيين .

والثالثة: علاقة التكرار المتوازي، حيث التكرار التركيبي بين الجملتين «الواو + المسند إليه + المسند: فعل مضارع + فاعل مستتر + المفعول».

قال تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ الله فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

فجملة: ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ﴾ علاقتها بما قبلها: ﴿وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ علاقة بيان، أي: بيان لقول الحق، وهداية السبيل. كما أنها من حيث المعنى جاءت توكيدًا لقوله:﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾؛ لأن النسب إلى الآباء توكيد لنفي الادعاء.

وجاءت جملة ﴿هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ الله﴾ استئنافًا يُعلل الأمر في قوله: ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ﴾، فالعلاقة الرابطة هي علاقة التَعليل والمعنى: ادعوهم لآبائهم؛ لأنه الأعدل عند الله.

هذا، وقد ارتبطت هذه الجمل: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ بعلاقة العطف ، فـ(الفاء) عاطفة على محذوف، تقديره: هذا إن علمتم آباءهم. والمعنى: ادعوهم لآبائهم، هذا إن علمتم آباءهم فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم.

وجملة: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ معطوفة على جملة: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا﴾ وجملة: ﴿وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ معطوفة على جملة: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾. كما أن علاقة جملة: ﴿وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ بما قبلها علاقة استدراك.

كما لعبت علاقة الإحالة دورًا فاعلاً في الربط بين هذه المفاهيم فضمير الغائب المتكرر في قوله: «ادعوهم، لآبائهم، آباءهم» جاءت مرجعيته مرجعية سابقة؛ حيث أحال إلى (أدعياءكم)، وهو عنصر إشاري محله الجملة الثالثة من هذه القطعة. كما يُحيل ضمير المخاطب المتكرر في قوله: «إخوانكم، مواليكم، عليكم، أخطأتم، قلوبكم» إلى هؤلاء المتمسكين بعادة الجاهلية في الادعاء بالتبني. وهي إحالة خارجية مفهومها المقام والسياق اللغوي؛ لأن العنصر الإشاري، وهو أحد ركنيها غير موجود في النص.

وجاء قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، وهو جملة مستأنفة تذييلاً علاقته بما قبله علاقة توكيد وتقرير.

قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾.

فجملة: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ وهي الجملة السادسة عشرة في ترتيب الجمل في هذه القطعة، والثالثة والعشرون في ترتيب جمل المقطع - جاءت هذه الجملة وقد ارتبطت وتماسكت بالجملة الأولى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ﴾ وذلك من خلال علاقة التكرار، حيث تكرر لفظ (النبي) في الجملتين، والمسافة المقطوعة فيما بينهما إحدى وعشرون جملة. ومع ذلك جاءت هذه العلاقة لتؤكد وتقرر التماسك والترابط بين الوحدات النصية في المقطع الواحد.

كما أنها، أي جملة: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ ارتبطت استدعاء بقوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [آل عمران: ٦٨]، حيث علاقة التشابه، وهي من علاقات الترابط اللفظي.

وتماسكت وارتبطت الجمل الثلاثة: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ من خلال علاقة الجمع ؛ حيث عطفت

الثالثة على الثانية، والثانية على الأولى.

كما أن الجملة الثانية: ﴿**وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾ تماسكت وترابطت مع الجملة الأولى: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى**﴾ من خلال **علاقة الإحالة** ؛ حيث إحالة ضمير الغيبة في قوله **(أزواجه)** إلى لفظ **(النبي)** ﷺ، وإحالة الضمير في قوله: **(أمهاتهم)** إلى لفظ **(المؤمنين)** في الجملة الأولى، والمرجعية – هنا – مرجعية سابقة. وارتبطت الجملة الثالثة بالأولى من خلال **علاقة التكرار**؛ حيث تكرر قوله **(المؤمنين)** في الجملتين. وارتبطت جملة ﴿**إِلاَّ أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا**﴾ بما قبلها ﴿**وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ**﴾ من خلال **علاقة الاستدراك** فـ**(إلا)** المتصدرة بها الجملة بمعنى **(لكن)**.

وجاءت الجملة الأخيرة من هذه القطعة: ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ وقد ارتبطت وتشابكت بما قبلها من جمل، من خلال علاقات ثلاثة:

الأولى: علاقة الإحالة ؛ حيث إحالة ضمير الإشارة (ذلك) إلى ما بينته الجمل من تشريعات، وهي: تقديم النبي ﷺ في الحب والطاعة على من سواه، وأمومة زوجاته ﷺ لسائر المؤمنين والمؤمنات، وإثبات التوارث بالقرابة والرحم بدل العصبية أو الهجرة. وهذه التشريعات مُفادة من قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾.

والثانية: علاقة التكرار؛ حيث تكرر لفظ (الكتاب) في قوله: ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ وقوله: ﴿فِي كِتَابِ اللهِ﴾.

والثالثة: علاقة التوكيد؛ حيث جاءت هذه الجملة ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ تؤكد وتقرر ما جاءت قبلها؛ لأنها بيان لمصدر هذا التشريع.

وهكذا تشابكت وتلاحمت هذه القطعة والوحدات النصية بعضها ببعض. وقبل الخروج من تحليل هذه القطعة، والانتقال إلى القطعة الأخيرة من هذا المقطع أود أن أشير إلى أن ماجاءت عليه خاتمة هذه القطعة من توكيد وإقرار لهذه التشريعات التي أبطل الوحي بها غيرها من العادات والأعراف الجاهلية إنما هو ما جاء به الميثاق والعهد الذي أخذه الله تعالى على الأنبياء بضرورة تبليغ هذه الشرائع. وهو ما جاءت به القطعة الأخيرة. فثمة علاقة بين تبليغ هذه الشرائع في صورة إبطال الظهار والتبني، وإقامة المواريث، وبين التذكير بعهد تبليغها.

القطعة الثالثة

وتمتد من الآية (السابعة) إلى نهاية الآية (الثامنة)

قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ/١ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا/٢** {٧} **لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ/٣ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا/٤** {٨} ﴾ [الآيتان: ٧ - ٨].

هذه القطعة هي القطعة الثالثة والأخيرة في هذا المقطع، وهي – كما هو واضح – آيتان تكونت من أربع جمل أساسية، وقد ترابطت وتماسكت وغيرها من الوحدات النصية.

هذا، وقد ارتبطت هذه القطعة بما قبلها في هذا المقطع من خلال علاقة الضم، فهي معطوفة على ما قبلها عطف القصة، وعلاقة الضم- كما أشار البحث من قبل[1] – يراد بها ضم مضمون كلام على كلام آخر، ولا يشترط في هذا النوع التناسب بين أجزاء الكلامين، وإنما يشترط التناسب بين مضمون الكلامين . فالمعطوف من الكلام هو أخذ الميثاق على النبيين بتبليغ الشرائع، والمعطوف عليه هو من أول قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ أي من أول تفصيل القول في: ﴿مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾.

وتتماسك وترابط الجملة الثانية: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ بالجملة الأولى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ من خلال علاقات ثلاثة:

أولها: **علاقة الجمع** ، عن طريق عطف الثانية على الأولى، وإن كان الميثاق في كلتيهما واحد، والأخذ فيهما واحد؛ ليوهم أنه ميثاق آخر، وكأن الميثاق لما وصف بأنه غليظ صار ميثاقًا آخر؛ وذلك تفخيم لشأن الميثاق. ونظيره – استدعاء – قوله تعالى من سورة هود: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ**﴾ [هود: ٥٨]، فقد عطف قوله: ﴿**وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ**﴾ على قوله: ﴿**نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ**﴾ وإن كانت النجاة واحدة، وذلك – أيضًا – من تفخيم الشأن

---

(١) راجع من الكتاب صـ ١٧٠

ما فيه، والخلاصة أن نكتة الوصل بين هاتين الجملتين هو **إبهام التغاير**[١].

والثانية: علاقة التكرار، فقد كرر قوله: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ لتأكيد الكلام وتقريره.

والثالثة: علاقة الإحالة؛ حيث ضمير الغائب في قوله: (منهم) المحيل إلى قوله: (النبيين).

وهكذا ترابطت الجملتان وتماسكتا من خلال هذه العلاقات النصية الثلاثة: العطف، والتكرار، والإحالة. وهي من علاقات الترابط اللفظي.

وفي قوله تعالى: ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ترابطت الجملتان فيما بينهما وتشابكتا من خلال علاقتين نصيتين متداخلتين: (العطف، والحذف).

وبيان ذلك، أن الربط بينهما جاء من خلال العطف على مقدر؛ حيث حذف من الأول لدلالة الثاني عليه، وحذف من الثاني لدلالة الأول عليه، والأصل: «ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد لهم ثوابًا عظيمًا، ويسأل الكافرين عن كفرهم وأعد لهم عذابًا أليمًا»، فقد حذف: «وأعد لهم ثوابًا عظيمًا» لدلالة: «وأعد للكافرين عذابًا أليمًا» عليه، وحذف: «ليسأل الكافرين عن كفرهم» لدلالة: «ليسأل الصادقين عن صدقهم» عليه. وهذا ما يسمى بالاحتباك[٢].

هذا، وقد ارتبطت الجملتان: «ليسأل الصادقين عن صدقهم، وأعد للكافرين عذابًا أليمًا» بما قبلهما من خلال علاقة التعليل، ولكن على مقدر، والتقدير: فعل ذلك ؛ ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، والجملة المحذوفة مستأنفة[٣].

هذا، وقد ارتبط وتماسك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن

---

(١) انظر: الألوسي، روح المعاني ٢١/ ١٥٤.

(٢) الألوسي، روح المعاني ٢١/ ١٥٥.

(٣) راجع: محمد الأمين، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٢٢/ ٤٤٧، إشراف ومراجعة د. هاشم محمد علي، دار طوق النجاة، مكة المكرمة.

نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾، بما جاء في لغة النص القرآني من خلال علاقة الاستدعاء البياني.

فقد ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه أخذ من النبيين ميثاقهم، ثم خص منهم بذلك خمس: هم أولو العزم من الرسل، وهم محمد ﷺ، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى. ولم يبين – هنا – الميثاق، فبين الميثاق المأخوذ على جميع النبيين بقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ {٨١} فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ {٨٢}﴾ [آل عمران: ٨١، ٨٢]. وفي سورة الشورى بين الله تعالاى الميثاق الذي أخذه على خصوص الخمسة الذين هم أولو العزم من الرسل، حيث قال: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] (١).

وهكذا ارتبطت سورة الأحزاب في هذا الموضوع بما جاء في سورة آل عمران، والشورى من خلال علاقة الاستدعاء البياني.

وقبل مغادرة هذا المقطع وتحليله يؤكد البحث مدى صلته وتماسكه بالمقطع الأول من سورة النساء. فهذا المقطع من هذه السورة الكريمة يشبه المقطع الأول من سورة النساء. فالمقطع الأولى في سورة النساء يبدأ بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١]، ويبدأ المقطع الأول – كما مر بنا – بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ﴾ مع اختلاف المنادى في المقطعين. كما أن المقطع الأول من سورة النساء فيه تفصيل لأحكام الأسرة، ومن ذلك الإرث، والمقطع الأول من سورة الأحزاب يتحدث – أيضًا – عن أحكام الأسرة، والإرث، والمقطع الأول من سورة النساء ينتهي بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨]، ويبدأ بعده مباشرة النداء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ [النساء: ١٩]، والمقطع الأول من سورة الأحزاب ينتهي بقوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ثم يأتي بعده مباشرة النداء

(١) انظر الشنقيطي، أضواء البيان ٦/ ٦٣٠ وما بعدها .

في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأحزاب: ٩]. وعليه فالرابط أوالواصل بين المقطعين عبرعلاقة الاستدعاء هو التشابه القائم بينهما.

وهكذا – كما هو بين واضح – تشابكت وحدات هذا المقطع، وتلاحمت أجزاؤه من خلال العلاقات النصية ذات الترابطين: اللفظي والمفهومي ، وذلك على المستويين: المركزي واللامركزي، أو المحلي والاستدعائي.

وبعد، فلينتقل البحث إلى تحليل المقطع الثاني من هذه السورة الكريمة لنرى كيف أسهمت العلاقات النصية بنوعيها في ترابط وتلاحم وحداته، وغيرها من وحدات لغة النص القرآني.

المقطع الثاني

ويمتد من الآية (التاسعة) إلى نهاية الآية (السابعة والعشرين)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا {٩} إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا {١٠} هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا {١١} وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا {١٢} وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا{١٣} وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيرًا {١٤} وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِن قَبْلُ لاَ يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْؤُولاً {١٥} قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً {١٦} قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا {١٧} قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً {١٨} أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا {١٩} يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً

{٢٠} لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا {٢١} وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا {٢٢} مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً {٢٣} لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا {٢٤} وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا[1] {٢٥} وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا {٢٦} وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا[2] {٢٧}﴾ [الآيات من ٩ إلى ٢٧].

هذا هوالمقطع الثاني ـ كما هو بين ـ يتكون من تسع عشرة آية و يقوم بناؤه – أيضًا – من حيث المستوى الأفقي على عدد من الجمل الأساسية. ومن حيث المستوى الرأسي بناءً على المقاصد والأغراض المتضمنة فيه يتكون من قطعتين، كل قطعة منهما يتماسك ويتلاحم بعضها مع بعضٍ من جهة ، ومن جهة أخرى تتلاحم وتتماسك وحدات كل قطعة منهما مع غيرها من وحدات لغة النص القرآني .وتفصيل ذلك وبيانه ما يلي .

القطعة الأولى

وتمتد من الآية (التاسعة) إلى نهاية الآية (الخامسة والعشرين)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا {٩} إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا {١٠} هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا[1] {١١} وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا {١٢} وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا {١٣} وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيرًا {١٤} وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِن قَبْلُ لاَ يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ

مَسْؤُولاً {١٥} قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً {١٦} قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا {١٧} قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً {١٨} أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا {١٩} يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً[٢] {٢٠} لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا[٣] {٢١} وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا {٢٢} مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً {٢٣} لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا {٢٤} وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا[٤] {٢٥}﴾ [الآيات: ٩ - ٢٥].

تتكون هذه القطعة من سبع عشرة آية، يقوم بناؤها من حيث المستوى الأفقي على عدد من الجمل الأساسية، بلغت تسعًا وثلاثين جملة. ومن حيث المستوى الرأسي تكونت هذه القطعة – حسب المقاصد والأغراض المرصودة فيها – من أربع أقطوعات نصية، تماسكت وتلاحمت كل أقطوعة منها بعضها مع بعض، كما تربطت وتماسكت مع غيرها من وحدات القطعة، وتماسكت وترابطت – أيضًا – مع القطعة التالية من هذا المقطع، وبالاستدعاء النصي تماسكت وترابطت – كذلك – مع وحدات نصية أخرى في لغة النص القرآني. كل ذلك من خلال شبكة العلاقات النصية.

هذا، وسيتناول البحث هذا البناء أقطوعة أقطوعة لنرى أوجه التماسك والترابط من خلال شبكة من العلاقات النصية .

الأقطوعة الأولى

وتمتد من الآية (التاسعة) إلى نهاية الآية (الحادية عشرة)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ/١ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا/٢ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا/٣ {٩} إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ/٤ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ/٥ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ/٦ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا/٧ {١٠} هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ/٨ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا/٩ {١١}﴾ [٩ إلى ١١].

هذه الآيات الثلاثة أقطوعة واحدة في القطعة الأولى من المقطع المرصود، وهي مكونة من تسع جمل أساسية. ومضمونها النصي: تذكير الله تعالى المؤمنين بنعمته عليهم؛ إذ جاءتهم الأحزاب من فوقكم ومن أسفل منهم، وهنا يذكر النص وقع هذا الخبر على صدور الحاضرين، الذين سينقسمون بنياتهم إلى طائفتين: أولاهما: منافقة، والثانية: مؤمنة.

ومن هذا المنطلق كانت هذه الأقطوعة بمثابة المقدمة أو التوطئة لهذين الموقفين اللذين وردا في الأقطوعتين الثانية والرابعة.

هذا، وقد تماسكت هذه الأقطوعة وترابطت مفاهيمها الجزئية من خلال العلاقات النصية، وبيان ذلك ما يلي:

فالجملة في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ فيها عرض سريع وخاطف لواقعة الأحزاب ؛ إذ ذُكِر فيها طرفاها، وطوي كل ما كان من أحداث فيهما. فجملة: ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ تمثل بداية الواقعة، وجملة ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ المعطوفة على سابقتها -عطف ترتيب بلا مهلة- تمثل نهايتها. وهاتان الجملتان جاءتا إجمالاً يفصله ما سيأتي بعدهما.

وجاءت جملة ﴿وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ تذييلاً يؤكد ويُقرر ما جاء في الجملتين قبلها.

وتأتي الجمل الأربعة التالية: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ/ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ / وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ/ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا﴾؛ لتفصل ما أجمل في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾.

ومن الواضح البين أن هذه الجمل الأربعة قد تماسكت وتشابكت من خلال علاقة العطف الرابطة بينها ربطَ ترتيبٍ وترتُّب.

وترابطت الجملتان ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا﴾ من خلال علاقات ثلاثة: العطف، والإحالة، والتوكيد.

فالجملة الثانية معطوفة على الأولى، مشتملة على ضمير أحال إلى المسند إليه فيها، مؤكدة ومقررة لمضمون ما ورد فيها. كما ترابطت أولاهما ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وتماسكت بجملة النداء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من خلال علاقة التكرار الاشتقاقي؛ حيث التكرار الوقع بين «المؤمنون، والذين آمنوا».

وتأتي علاقة الإحالة لتربط بين وحدات هذه الأقطوعة جميعها، وذلك على النحو التالي: «اذكروا، عليكم، جاءتكم، لم تروها، تعملون، جاءوكم، فوقكم، منكم، أبصاركم (الأبصار)، قلوبكم (القلوب)، حناجركم (الحناجر)، تظنون، زلزلوا».

فكلها تحيل إلى لفظ: (الذين آمنوا) المذكور في الجملة الأولى، والمرجعية – هنا – مرجعية سابقة.

ويترابط ويتماسك قوله تعالى: ﴿**إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا**﴾ **استدعاء** من خلال **علاقة المشابهة** في قوله تعالى عن غزوة حنين: ﴿ **وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ** {٢٥} **ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا** {٢٦}﴾ [التوبة:٢٥، ٢٦]، وفي قوله تعالى يؤيد نبيه ﷺ في الغار: ﴿**إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا**﴾ [التوبة: ٤٠].

الأقطوعة الثانية

وتمتد من الآية (الثانية عشرة) إلى نهاية الآية (العشرين)

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا[١] {١٢} وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا[٢] وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ[٣] يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ[٤] وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ[٥] إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا[٦] {١٣} وَلَوْ

دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيرًا/٧ {١٤} وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِن قَبْلُ لاَ يُوَلُّونَ الأدْبَارَ/٨ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْؤُولاً /٩{١٥} قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً /١٠{١٦} قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً/١١ وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا /١٢{١٧} قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً {١٨} أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ/١٣ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ/١٤ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ/١٥ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ/١٦ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا/١٧ {١٩} يَحْسَبُونَ الأحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا/١٨ وَإِن يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ/١٩ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً/٢٠ {٢٠}﴾ [المنافقين: ١٢ - ٢٠].

الآيات التسعة كلها أقطوعة واحدة، تكون بناؤها من عشرين جملة أساسية، ومضمونها النصي: بيان لمواقف المنافقين في غزوة الأحزاب، وفضح نوايا سترهم المتباينة. ومن ثم فدلالاتها متماسكة مترابطة، ويخدم هذا التماسكُ الدلالي التماسكَ الشكلي المستنبط من الأدوات والضمائر إلى غير ذلك مما هو ظاهر جلي على سطح النص. كل هذا عبر شبكة من العلاقات النصية.

ومن ذلك علاقة العطف الجامعة بين هذه الجمل الثلاثة: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا/١ {١٢} وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا/٢ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا/٣﴾.

ومنه – أيضًا – قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾، حيث عطف على قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾. ناهيك عن علاقة المقابلة الرابطة بين الجملتين: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ﴾ و ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾، وهي من علاقات الترابط المفهومي.

كما وصلت علاقة العطف بين الجملتين في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ الأحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا / وَإِن يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ﴾.

وجملة: ﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ ارتبطت بما قبلها: ﴿ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ من خلال علاقة البيان أو التفسير، فالجملة بيان وتفسير للاستئذان.

وقوله: ﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ تماسكت بما قبلها: ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ من خلال علاقةالتضاد المرتكز على السلب.

والمتأمل قوله تعالى: ﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ يلحظ الدحض السريع لهذه الحجة الواهية لما ورد قبلها: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾، وهكذا القرآن يسرع دائمًا برد أكاذيب المنافقين في وجوههم، وفي ذلك استدعاء، حيث علاقة المشابهة بين ما هو وارد – هنا – وما ورد في سورة البقرة ، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ {١١} **أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ**.....﴾ [البقرة: ١١، ١٢].

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ تماسك وترابط بما جاء في جملة النداء في المقطع الأول، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ﴾، وذلك من خلال علاقة التكرار، حيث تكرار لفظ (النبي) في الجملتين.

وجاء قوله تعالى: ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا﴾ جملة استئنافية ارتبطت بما قبلها وتماسكت من خلال علاقة التوكيد، فهي بيان يؤكد ما أبطل به حجتهم في قوله: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾، فالحجة الحقيقية هي قوله: ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا﴾.

وارتبطت جملة: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِن قَبْلُ لاَ يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ﴾ وتماسكت بقوله: ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا﴾ من خلال **علاقة المقابلة الضمنية**، أو **علاقة شبه المقابلة**.

وتماسكت جملة: ﴿ وَكَانَ عَهْدُ الله مَسْؤُولاً﴾ وترابطت بجملة: ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ﴾ من خلال **علاقة التكرار** في قوله ﴿كَانَ عَهْدُ الله﴾، و﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ﴾. وتماسكت – أيضًا – بقوله: ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا﴾ وترابطت عبر **علاقة المناسبة**، أي:«هم لا يريدون إلا الفرار»، و«كانوا عاهدوا الله لا يفرون».

وتماسكت جملة: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم﴾ وارتبطت بجملة ﴿ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا﴾ من خلال التكرار اللفظي: «الفرار»، و«فررتم» و «فرارًا»، فالعلاقة الرابطة – هنا – علاقة التكرار اللفظي.

وارتبطت جملة: ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ وتماسكت بجملة: ﴿ وَلاَ يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً، أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ من خلال علاقتين: أولهما **علاقة التكرار** والثانية: **علاقة المقابلة** . وقد جمعت العلاقتان بين **التماسك الشكلي** و**التماسك الدلالي**.

وتماسكت جملة: ﴿ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً﴾ وترابطت بجملة: ﴿ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ من خلال **علاقة التكرار**، وهي من **علاقات الترابط اللفظي**، حيث تكرار النفي (ما – لا)، و(إلا)، و(قليلاً).

ويأتي دور علاقة الإحالة للربط والوصل بين هذه المفاهيم المعبرة جميعها عن حال المنافقين، وذلك من خلال الضمائر: **الغائب**، و**المخاطب**، و**المتكلم**، المحيلة إلى (المنافقون) وهم المحور الرئيسي في هذه الأقطوعة، وذلك كالتالي: «منهم، منهم، يقولون، بيوتنا، يريدون، عليهم، سئلوا، لآتوها، يعصمكم، بكم، بكم، لا يجدون، منكم، القائلين (هم)، لإخوانهم، إلينا، ولا يأتاون، رأيتهم، ينظرون، أعينهم، سلقوكم، أعمالهم، يحسبون، يودوا، أنهم، بادون (هم) يسألون، كانوا، ما قتلوا». فكل هذه الضائر أحالت إلى عنصر إشاري واحد هو (المنافقون)، وهو كما نرى المحور الرئيسي – كما بين البحث - في هذه الوحدة من القطعة المرصودة.

وهكذا كان الربط بين المفاهيم من خلال الضمائر: الغائب ، والخطاب، والتكلم. كما يلعب – أيضًا – ضمير الإشارة دورًا بارزًا في الربط والوصل بين المفاهيم، ويستنبط ذلك من قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ** لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾.

فضمير الإشارة (أولئك) أحال إلى (المنافقون). وهذا النوع من الإحالة هو ما أطلق عليه النصيون بالإحالة المقطعية أو النصية.

كما أن ضمير الإشارة (ذلك) يحيل إلى قوله تعالى: ﴿فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ وهي إحالة نصية قريبة المدى.

وهكذا تماسكت مفاهيم هذه الأقطوعة وتلاحمت من خلال شبكة العلاقات النصية ذات الترابطين: اللفظي والمفهومي.

ومن الواضح البين أن هذه الأقطوعة قد فصلت القول في مواقف المنافقين

المتباينة، وكذا فضح نياتهم، وكان الواجب على هؤلاء المنافقين كما هو الواجب على كل الناس أن يكون لهم في رسول ﷺ الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة في الجهاد والصبر والإيمان، فمن أخذ القدوة منه ﷺ ظفر بخير الدنيا والآخرة، وفاز برضا الله تعالى ؛ومن ثم كانت **الأقطوعة التالية**، وهي الثالثة في ترتيب الأقطوعات من هذه القطعة.

الأقطوعة الثالثة

وتمتد من بداية الآية (الحادية والعشرين) إلى (نهايتها)

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآَخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا{٢١}﴾ [الآية: ٢١].

هذه الأقطوعة كلها جملة واحدة، وقد جاءت وكأنها واسطة العقد بين الأقطوعتين السابقة، وهي المعبرة عن مواقف المنافقين، واللاحقة أو التالية، وهي المعبرة عن مواقف المؤمنين . وغير خاف أن ما بين الأقطوعة السابقة واللاحقة من علاقة مقابلة.

هذا، وضمير المخاطب في قوله (**لكم**) – كما يرى البحث – يحيل إلى المنافقين في الأقطوعة السابقة، والمؤمنين في الأقطوعة اللاحقة. وهكذا تترابط الأقطوعتان وتتلاحمان من خلال علاقةالإحالة ، حيث الضمير (كم) الرابط بين مفاهيمهما.

ويرى البحث – أيضًا – أن هذه الأقطوعة قد وصلت بين الأقطوعتين السابقة واللاحقة من خلال العتاب والتمهيد، حيث تضمنت العتاب للمنافقين، وكذا التمهيد لمواقف المؤمنين. وهي بذلك واسطة بين الأقطوعتين: الثانية والرابعة.

الأقطوعة الرابعة

وتمتد من الآية (الثانية والعشرين) إلى نهاية الآية (الخامسة والعشرين)

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا/١ {٢٢} مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ/٢ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً/٣ {٢٣} لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ/٤ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ/٥ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا/٦ {٢٤} وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا/٧ وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ/٨ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا/٩ {٢٥}﴾ [الآيات: من ٢٢إلى ٢٥].

هذه الآيات الأربعة كلها – حسب المقاصد النصية أو الأغراض – أقطعوعة واحدة، تكون بناؤها من تسع جمل أساسية، ترابطت مفاهيمها وتماسكت بعضها مع بعض، وغيرها من الوحدات النصية عبر شبكة العلاقات النصية. ويدور مضمونها النص حول مواقف المؤمنين عندما رأوا الأحزاب، كما أنها تبين أن الله تعالى لا يساوي بين الصادقين بصدقهم والمنافقين بنفاقهم. وهذا هو العدل الإلهي المشفوع بالمغفرة والرحمة.

ومن هذا المنطلق يمكن أن نتلمس وجه المناسبة التي جمعت بين هذه الأقطوعة – وهي الرابعة في ترتيب الأقطوعات – والأقطوعة الثانية، ويرى البحث أن علاقة المقابلة هي الرابط بين الأقطوعتين.

ولنتأمل هذه المقابلة من خلال عرض القرآن لهذين الموقفين:

الأول منهما جاء بالسلب أو النفي، وهو موقف المنافقين: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا {١٢} وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾.

والثاني: وهو موقف أهل الإيمان الذين صدقوا: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا {٢٢} مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً {٢٣}﴾. وقد جاء – كما هو واضح من المقابلة – في صورة الإيجاب المؤكدة طاعتهم وحسن نواياهم.

كما ارتبطت هذه الأقطوعة وتماسكت في خاتمها: ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ﴾ من خلال علاقة العطف الجامعة وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾، إذ إنهما أي: الجملتين تمثلان معًا نهاية هذه الواقعة (واقعة الأحزاب). وبهذا تبدو علاقة الجمع أو العطف عروة أحكمت ربط هذين الشقين المتباعدين. وأن المعطوف عليه وهو قوله ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ جاء سببًا في حدوث المعطوف وهو قوله ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

كما أن خاتمة هذه الأقطوعة – وهي الأخيرة في ترتيب أقطوعات القطعة –

تشابهت وخاتمة القطعة الثالثة من المقطع الأول.

ففي خاتمة هذه الأقطوعة ورد قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾. وفي القطعة الأخيرة من المقطع الأول ورد قوله تعالى: ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية: ٩].

والمتأمل في هاتين الخاتمتين يلحظ أن ما ورد في الآية التاسعة من المقطع الأول جاء يعبر عن السؤال والإعداد. أما ما ورد في الأقطوعة الرابعة من هذه القطعة الواردة في المقطع الثاني فقد جاء يعبر عن الجزاء والعذاب. وهكذا وصلت وربطت علاقة المشابهة – وهي من علاقات الترابط اللفظي – بين المقطعين: الأول والثاني.

هذا، وقد تماسكت وتشابكت المفاهيم الجزئية في هذه الأقطوعة من خلال العلاقات النصيةالتالية:

ـ علاقة التكرار، وتتضح هذه العلاقة في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا {٢٢} مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا﴾، وقوله: ﴿**وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ**﴾؛ حيث تكرار مسمى الإيمان على أهله في الجمل الثلاثة: «المؤمنون - المؤمنين - المؤمنين» مع اختلاف الموقع التركيبي في كل منها.

ـ **علاقة التفصيل أو التقسيم**، وبيانها في قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ **عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ**﴾ فعلاقة: ﴿**فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ**﴾ بما قبله: ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ**﴾ **علاقة تفصيل بعد إجمال**، وفي هذا التفصيل تقسيم ؛ حيث قسمت الجماعة إلى قسمين: فريق منها توارى حيث **قضى نحبه** والآخر:**باق ينتظر**.

ـ **علاقة العطف**، وتبدو هذه العلاقة في قوله تعالى: ﴿ **وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا**﴾؛ حيث ربطت هذه العلاقة وشبكت بين الجمل الثلاثة الورادة في الآية الكريمة على النحو التالي: (**ورد الله/ وكفى الله/ وكان الله**). فضلاً على ذلك ما أحدثته **علاقة التكرار** من تماسك وترابط بين الجمل، حيث تكرار لفظ الجلالة (الله) في ثلاثتها، وكذا غيرها في جمل الأقطوعة.

- **علاقة الإحالة**، حيث إحالة الضمائر بأنواعها، إلى عنصر إشاري واحد، هو العنصر الرئيسي في هذه الأقطوعة، وهو (**المؤمنون**)، وذلك على النحو التالي: «قالوا – وعدنا – زادهم – صدقوا – عاهدوا - فمنهم – ومنهم – ما بدلوا – بصدقهم». فكل هذه الضمائر تحيل إلى عنصر إشاري واحد هو (**المؤمنون**).

- **علاقة التوكيد**، وتتضح هذه العلاقة في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾، وقوله: ﴿**وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا**﴾؛ حيث جاءت كل جملة منهما فاصلة تذيّل ما قبلها على سبيل التوكيد والتقرير.

- **علاقة التعليل**، حيث جاءت الجملة: ﴿ **لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ**﴾ تعلل ما حدث. فـ(**اللام**) حرف جر وتعليل متعلق بمعلول محذوف، تقديره: وقع جميع ما وقع ليجزي الله سبحانه الصادقين...،والجملة المحذوفة: مستأنفة مسوقة لبيان ما دعا إلى وقوع ما حكى من الأقوال والأفعال[1].

وهكذا تشابكت وتلاحمت الوحدات النصية في هذه القطعة من خلال شبكة العلاقات النصية ذات الترابطين **اللفظي والمفهومي**.

وبعد، فلينتقل بنا البحث إلي تحليل القطعة الثانية من هذا المقطع؛ لنقف على العلاقات النصية الرابطة بينه وبين الوحدات النصية الأخرى.

القطعة الثانية

وتمتد من الآية (السادسة والعشرين) إلى نهاية الآية (السابعة والعشرين)

قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ/١ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ/٢ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ/٣ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا/٤ {٢٦} وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَؤُوهَا/٥ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا/٦ {٢٧}﴾ [الآيتان: ٢٦إلى ٢٧].

هاتان الآيتان تمثلان – حسب الأغراض النصية ومقاصدها في هذا المقطع – قطعة واحدة، تكون بناؤها من ست جمل أساسية، ومضمونها النصي – كما هو واضح – يدور حول غزوة بني قريظة، الذين تحينوا فرصة قدوم الأحزاب، ونقضوا ما كان

---

(١) انظر: محمد الأمين ، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٢٢/ ٤٩٦ وما بعدها .

بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد، فلما نقضت قريظة العهد وبلغ ذلك رسول الله ﷺ ساءه، وشق عليه، وعلى أصحابه أجمعين.

فلما أيد الله تعالى رسوله ﷺ ونصره، ورد أعداءه الأحزاب خائبين بأخسر صفقة كما كان من الوحي، فأمر الرسول بالسير إليهم، فلبس السلاح كما لبست أصحابه وانطلقوا إلى بني قريظة، هؤلاء الذين ظاهروا الأحزاب عليه ﷺ وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم[1].

ومن ثم يرى البحث أن هذه القطعة موصولة بالتي قبلها من هذا المقطع من خلال علاقةالامتداد، أو علاقة الضم عن طريق عطف القصة، حيث ضمت هذه العلاقة مضمون ما جاء في هذه الغزوة على مضمون ما جاء في الغزوة قبلها. وكون العلاقة امتدادًا؛ لأن ما ذكر في شأن بني قريظة ليس أصلاً، وإنما هو شيء استتبع تفصيل النعمة التي أمر المؤمنون بذكرها وشكرها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ﴾.

ومن هذا المنطلق تماسكت هاتان القطعتان وتلاحمتا من خلال اللفظ والمفهوم، فكلاهما قام بدور فاعل في إحكام الربط بين القطعتين.

هذا، وتترابط المفاهيم الجزئية في هذه القطعة، وتتماسك عبر العلاقات النصية التالية:

أولها: علاقة العطف، حيث الجمع بين هذه المفاهيم من خلال الواو، وذلك على النحو التالي: ﴿**وَأَنْزَلَ** الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ/ **وَقَذَفَ** فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا {٢٦}/ **وَأَوْرَثَكُمْ** أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا{٢٧} ﴾.

والثانية: علاقة الإحالة ، والإحالة – هنا – نوعان:

أولهما: الإحالة الخارجية، حيث الإحالة إلى عنصر إشاري خارجي، هم (بنو قريظة).

والثاني: الإحالة الداخلية، حيث الإحالة إلى الذات الإلهية (الله تعالى)، والإحالة إلى (المؤمنين الصادقين) . والعنصران الإشاريان كلاهما موجودان في نص السورة الكريمة.

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣/ ٧٦٢ وما بعدها .

وقد جاءت الإحالة بنوعيها على النحو التالي: «وأنزل (هو) (الله) ظاهروهم (بنو قريظة – المؤمنين) – صياصهم (بني قريظة) – قلوبهم (بني قريظة) – تقتلون (المؤمنون) – تأسرون (المؤمنون) – أورثكم (المؤمنين) – أرضهم (بني قريظة) – ديارهم (بني قريظة) – أموالهم (بني قريظة) – لم تطؤها (المؤمنون)».

والثالثة: علاقة الترتُّب، وتتضح هذه العلاقة في قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾؛ حيث ارتبطت الجملتان بما قبلهما من خلال هذه العلاقة، فقد جاءت الجملتان نتيجة وبيانًا للنهاية الحاسمة التي مُني بها بنو قريظة؛ جزاء غدرهم وخيانتهم، فبعد إنزالهم من الصياصي، وقذف الرعب في قلوبهم كانت هذه النتيجة الحاسمة.

والرابعة: علاقة التوكيد ، وتبدو هذه العلاقة في قوله: ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾، وهو جملة مستأنفة جاءت توكد وتقرر ما جاء قبلها من المعاني الدالة على قدرته سبحانه.

وهكذا تلاحمت وتشابكت هذه القطعة من خلال شبكة من العلاقات النصية ذات المدلولين: اللفظي والمفهومي.

هذا، وقبل الإقلاع من هذا المقطع إلى المقطع الذي يليه أود توضيح أمرين:

الأمرالأول : أن هذا المقطع قد ارتبط وتماسك بالمقطع السابق عليه، من خلال الامتداد المعنوي للمفاهيم، فقد عرض هذا المقطع مظهرًا من مظاهر الوفاء بالعهد، ومظهرًا من مظاهر نقضه، كما عرض مظهرًا من مظاهر النفاق، ومظهرًا من مظاهر الإيمان. ورأينا في المقطع الطريق العملي لتحقيق الإيمان؛ حيث ذكر طريق القدوة بالرسول ﷺ، ورأينا في هذا المقطع صورة عملية للامتحان الشديد الذي يعقبه نصر، ورأينا فيه صورة عملية للتوكل الصحيح، وصورة عملية لمفهوم التقوى، وترك طاعة الكافرين والمنافقين، واتباع الوحي. وكلها – كما أوضح البحث من قبل – معانٍ ومفاهيم وردت في المقطع السابق.

والثاني: أن هذا المقطع من هذه السورة الكريمة يتشابه بعلاقة الاستدعاء مع المقطع الأول من سورة المائدة، وذلك على النحو التالي:

ورد في هذا المقطع قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا**﴾ [الآية: ٩]، وجاء في سورة المائدة قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ**﴾ [المائدة: ١١].

وورد في هذا المقطع قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الآية: ٢٣]، وهو كما هو بين – يدل على الوفاء بالعهد وعدم نقضه. وجاء في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

وبعد ، فقد تماسك المقطع – كما تبين – وترابط بعضه مع بعض، وغيره من الوحدات النصية، وذلك من خلال شبكة من العلاقات النصية المتعددة في اللفظ والمفهوم.

المقطع الثالث

ويمتد من الآية (الثامنة والعشرين) إلى نهاية الآية (الأربعين)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً {٢٨} وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا {٢٩} يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا {٣٠} وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا {٣١} يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا {٣٢} وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا {٣٣} وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا {٣٤}/١ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ والصَّائِمِينَ والصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ

اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا {٣٥}/٢ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا {٣٦} وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً {٣٧} مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا {٣٨} الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا {٣٩} مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا/٣ {٤٠}﴾ [الآيات: من ٢٨ إلى ٤٠].

وهذا المقطع الذي بين أيدينا يقوم بناؤه من حيث المستوى الأفقي على عدد من الجمل الأساسية، ومن حيث المستوى الرأسي نجده – حسب الأغراض والمقاصد النصية – يتكون من ثلاث قطع، تماسكت جميعها، وتلاحمت بعضها مع بعض، وغيرها من الوحدات النصية، عبر شبكة من العلاقات النصية ذات الترابطين: اللفظي والمفهومي. وبيان ذلك ما يلي:

القطعة الأولى

وتمتد من الآية (الثامنة والعشرين) إلى نهاية الآية (الرابعة والثلاثين)

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً {٢٨} وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا {٢٩}/١ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا {٣٠} وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا {٣١}/٢ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا {٣٢} وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا {٣٣} وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا {٣٤}/٣﴾ [الآيات: ٢٨ - ٣٤].

وهذه القطعة المكونة من سبع آيات وحدة نصية واحدة، يتكون بناؤها من حيث

المستوى الرأسي من ثلاث أقطوعات، وذلك على النحو التالي:

الأقطوعة الأولى

وتمتد من الآية (الثامنة والعشرين) إلى نهاية الآية (التاسعة والعشرين)

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ١/ {٢٨} وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآَخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ٢/ {٢٩}﴾ [الآيتان: ٢٨ - ٢٩].

هاتان الآيتان – حسب أغراض ومقاصد القطعة – وحدة نصية، تكون بناؤها من جملتين في مقول القول وهو نص فرعي في بنية النداء . ويدور مضمونها النصي حول تخيير الرسول ﷺ أزواجه ونساءه أمهات المؤمنين بين متاع الدنيا ومتاع الآخرة، بين الدنيا وزينتها والله ورسوله والدار الأخرة، بين الطلاق والفراق، والصبر على فاقة رسول الله ﷺ من أجل الثواب العظيم.

ولعله من الملاحظ أن هذه الأقطوعة قد اتصلت بما قبلها من خلال العلاقة القائمة على تداعي المعاني والمفاهيم. ففي المقطع السابق يذكر صاحب نظم الدرر – فيما هو ملخصه -: أن الله تعالى قد تجلت قدرته؛ حيث دفعه عن عباده الأخيار، وأنه كفى من توكل عليه، وأقبل بكليته إليه ولذلك ناسب أن يقع بعد ذلك الأمر بخلوص النفس والهمة إلى الله، وألا يتجه من الوهم شيء إلى غيره[١].

ويوضح البحث أن القدرة الإلهية لما تجلت في رد الذين كفروا: ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ كما أنزل بني قريظة وهزمهم: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ كل ذلك كان داعيًا ألا تتجه همة المسلمين إلا إلى هذه القوة، وأن يتجردوا في مرضاتها تجردًا كاملاً، وجاء ذلك عمليًا في بيت النبي ﷺ ليكون تأديبًا للكافة.

هذا، كما أن الخطاب الوارد في مطلع المقطع الأول في هذه السورة الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ﴾ يدل على أن التخيير (الوارد في هذه الأقطوعة من هذه القطعة من

---

(١) انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٦/ ٩٧.

المقطع الثالث) من التقوى المأمور بها رسول الله ﷺ؛ إذ إن إرادة الحياة الدنيا خلق من أخلاق الكافرين والمنافقين، وأصحاب النفوس الضعيفة، وهي أخلاق لا ينبغي أن تصيب بيت الرسول ﷺ.

إذن هذه الأقطوعة وهي مطلع هذا المقطع، وهو الثالث في ترتيب المقاطع لها صلة وثيقة من خلال علاقة الامتداد بالمقطعين السابقين الأول والثاني.

هذا وتتماسك هذه الأقطوعة وتترابط عبر العلاقات النصية التالية:

أولاها: علاقة العطف؛ حيث الجمع بين مفهوميها الجزئيين: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً﴾، و ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

والثانية: علاقة الإحالة ، حيث إحالة ضمير النسوة إلى أزواج النبي ﷺ على النحو التالي: (كنتن، تردن، فتعالين، أمتعكن، وأسرحكن، كنتن، تردن، منكن) والربط – هنا – جاء من خلال الإحالة إلى سابق.

والثالثة: علاقة المقابلة ، وهي الجامع المفهومي بين الجملتين؛ إذ إن مفهوم الجملة الثانية: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ يقابل مفهوم الأولى: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً﴾.

الأقطوعة الثانية

وتمتد من الآية (الثلاثين) إلى نهاية الآية (الحادية والثلاثين)

قال تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ[1] وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا[2] {٣٠} وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا {٣١}[2]﴾ [الآيتان: ٣٠-٣١].

وهذه الأقطوعة وحدة نصية واحدة، تضمنت آيتاها من حيث البناء الأفقي ثلاث جمل أساسية، ترابطت وتلاحمت من خلال علاقة التمهيد ، فالخطاب – هنا – من الله تعالى إلى أمهات المؤمنين بلا واسطة. وقد قال تعالى في الآية الأولى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ﴾؛ فخاطبهن بواسطة النبي ﷺ، وذلك مؤذن بخطورة الأمر الذي جاء

الخطاب من أجله، فموضوع هذا الخطاب يعالج قضية من المقضايا المعضلة التي تعاني منها المجتمعات الإنسانية عمومًا، وهي قضية الأخلاق وسلوك النساء، ومن ثم كان لفظ (النساء) دون لفظ (الأزواج)، كما قال تعالى هناك: ﴿قُل لأَزْوَاجِكَ﴾.

ومن هذا المنطلق كانت الأقطوعة السابقة تمهيدًا كان النبي ﷺ الواسطة فيه؛ تليينًا وتلطيفًا لما سيأتي بعده، أعنى به هذه الأقطوعة.

وقد تماسكت هذه الأقطوعة وتشابكت من خلال العلاقات النصية التالية:

ـ علاقة العطف ، حيث الجمع بين مفاهيمها الجزئية، وذلك عبر حرف (الواو): ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾،/ ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾.

ـ **علاقة الإحالة**؛ حيث ضمير النسوة في لفظ (**منكن**) المحيل بالمرجعية السابقة إلى لفظ (**نساء النبي**).

ـ **علاقة المقابلة** ، وهي الرابط المفهومي بين الجملتين: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾، / ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾.

ـ **علاقة التعليل**؛ فجملة ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾ جملة مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

هذا، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ يذكر الله تعالى أن من قنت من نساء نَبيه ﷺ لله ولرسوله، وعملت عملاً صالحًا، فإنه تعالى يؤتيها أجرها مرتين. وما وعد الله به جلّ وعلا من أطاع منهن بإيتائها أجرها مرتين في هذه الآية الكريمة جاء الوعد **بنظيره** لغيرهن. ومن ثم يحضرنا استدعاء من خلال علاقة المشابهة قوله تعالى الدال على أنه من آمن من أهل الكتاب بنبيه، ثم أمن بمحمد ﷺ فإن الله تعالى سوف يؤتيه أجره مرتين[1]: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ {٥١} الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ {٥٢} وَإِذَا يُتْلَى

(١) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان ٦/ ٦٣٣ وما بعدها .

عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ {٥٣} أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [القصص: ٥١ - ٥٤].

«ومن ذلك وعده لجميع المطيعين من أمته ﷺ بإتيائهم كفلين من رحمته تعالى»(١)، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٨].

الأقطوعة الثالثة

وتمتد من الآية (الثانية والثلاثين) إلى نهاية الآية (الرابعة والثلاثين)

قال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ/١ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ/٢ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا/٣ {٣٢} وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ/٤ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى/٥ وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ/٦ وَآتِينَ الزَّكَاةَ/٧ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ/٨ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا/٩ {٣٣} وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ/١٠ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا/١١ {٣٤}﴾ [الآيات: ٣٢ - ٣٤].

هذه الآيات الثلاثة – من حيث أغراض القطعة ومقاصدها – تعدُّ وحدة نصية واحدة، يتكون بناؤها من إحدى عشرة جملة أساسية، تتشابك جميعها وتتلاحم وغيرها من الوحدات النصية عبر شبكة من العلاقات النصية.

وهذه الأقطوعة من حيث مضمونها النصي الموجه إلى مخاطب واحد تعتبر (امتدادًا) لما كانت عليه الأقطوعة السابقة، وذلك عبر علاقة التكرار. فقوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ يتكرر فيه النداء إلى أمهات المؤمنين، فيؤكد بهذا التكرار أهمية الغرض الذي يُساق من أجله الحديث، وهو تنقية الأخلاق، وتهذيب السلوك، وهذا – لاشك – داخل في القنوت لله ورسوله، وعمل الصالحات. وهذا ما جات به خاتمة الأقطوعة السابقة.

وقد تكون العلاقة الرابطة بين هذه الأقطوعة والتي قبلها **علاقة تعليل**، أي أن علة ما اختص به الله تعالى أمهات المؤمنين من مضاعفة العذاب والثواب هو: أنهن في المنزلة والمكانة ليس ﴿**كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ**﴾ ومن ثم جاءت هذه الأقطوعة **بيانًا يعلل** ما ورد

---

(١) المصدر السابق: ٦/ ٦٣٤.

قبلها. ثم نهاهن عن رخامة الصوت، ولين الكلام إذا هن استقلبن أحدًا؛ حتى لا يطمع فيهن من في قلبه نفاق، ثم أمرهن بالقرار في بيوتهن، ونهاهن عن إظهار محاسنهن، كما يفعل ذلك أهل الجاهلية، ثم أمرهن بأهم أركان الدين، وهو إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله فيما يأمر وينهى؛ لأنه – تعالى – أذهب الآثام عن أهل البيت، وطهرهن تطهيرًا، ثم أمرهن بتعليم ونشر ما يتلى من القرآن وما يسمعنه من النبي ﷺ.هذا ، وقد تشابكت المفاهيم الجزئية لهذه الأقطوعة وتلاحمت عبر العلاقات النصية التالية:

علاقة العطف: حيث الجمع بين المعاني والمفاهيم من خلال (الواو) على النحوالتالي: «....فلا تخضعن... وقلن.... وقرن.... ولا تبرجن.... وأقمن .... وآتين.... وأطعن الله ورسوله.... وأذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة».

علاقة الإحالة : حيث ضمير النسوة المحيل إلى لفظ (نساء النبي) على النحو التالي: «يا نساء النبي: لستن - اتقتين - فلا تخضعن - وقلن- وقرن - بيوتكن - ولا تبرجن - وأقمن - وآتين - وأطعن - واذكرن - بيوتكن».

علاقة التكرار : حيث تكرار الطلب – كما هو واضح – على النحو التالي: «فلا تخضعن – وقلن – وقرن – ولا تبرجن – وأقمن – وآتين – وأطعن – واذكرن».

علاقة التقرير: حيث جاءت الجملة﴿ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ[٢]﴾ جملة مستانفة مقررة ومؤكدة لمضمون ما قبلها.

علاقة التعليل: حيث جاءت الجملة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ جملة مستأنفة علاقتها بما قبلها علاقة تعليل.

كما جاءت الفاصلة: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ تذييلاً معللاً لما قبله.

وهكذا تلاحمت هذه القطعة بأقطوعاتها الثلاثة وتشابكت بعضها مع بعض وغيرها من الوحدات النصية عبر شبكة من العلاقات النصية ذات الترابطين: اللفظي والمفهومي.

القطعة الثانية

وتمتد من بداية الآية (الخامسة والثلاثين) إلى نهايتها

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ والصَّائِمِينَ والصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا{٣٥}﴾ [الآية: ٣٥].

هذه الآية – حسب المقاصد النصية لهذا المقطع – هي القطعة الثانية وقد تكون بناؤها من جملة نصية واحدة . تماسكت وترابطت من خلال العلاقات الجملية لا النصية، وذلك من خلال علاقتين : العطف و التكرار.

وهذه القطعة تتصل بما قبلها اتصالاً واضحًا؛ وذلك أن الله تعالى لما أمر نساء نبيه ﷺ بأشياء، ونهاهن عن أخرى.. ذكر – هنا – ما أعده للمسلمين والمسلمات.. من الأجر والكرامة عنده تعالى في الدار الآخرة. ومن الواضح الجليّ أن أسلوب الحديث القرآني انتقل من مخاطبة أمهات المؤمنين في القطعة السابقة إلى ذكر المسلمين والمسلمات. وفي هذا إشارة إلى أن المستجيبات لأوامر الله تعالى يدخلن جميعًا في نعمته ورحمته، وأنه أعد لهن أجرًا عظيمًا. وهكذا يكون الجامع بين معاني القطعتين هو ذكر العام بعد الخاص، فالقطعتان بينهما علاقة عموم وخصوص.

القطعة الثالثة

وتمتد من الآية (السادسة والثلاثين) إلى نهاية الآية (الأربعين)

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا{٣٦} وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً{٣٧} مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا{٣٨} الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللهَ

وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الآيات: ٣٦ - ٤٠].

هذه الآيات الخمسة كلها قطعة واحدة، تكون بناؤها من حيث المستوى الرأسي من ثلاث أقطوعات، تماسكت جميعها وتلاحمت بعضها مع بعض وغيرها من الوحدات النصية من خلال شبكة من العلاقات ، وبيان ذلك على النحو التالي:

الأقطوعةالأولى

وتمتد من بداية الآية (السادسة والثلاثين) إلى نهايتها

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾.

الآية السادسة والثلاثون هي الأقطوعة الأولى من هذه القطعة، وتتكون هذه الأقطوعة من جملتين أساسيتين، ترابطت بما قبلها وما بعدها من خلال العلاقتين التاليتين:

أولهما: علاقة الامتداد

عرفنا فيما مضى من آيات وجمل وحدات هذه السورة الكريمة جانبًا من أوامر الله تعالى وتكاليفه الشرعية، على رأسها تقوى الله، واتباع ما يوحى، والتوكل عليه، ونسبة الأبناء إلى آبائهم الشرعيين، وإبطال ما كان سائدًا من عادات الجاهلية كالتبني، ثم ما وجهه الله ﷻ إلى أمهات المؤمنين من أوامر وتكاليف باعتبارهن القدوة الصالحة للمؤمنين والمؤمنات، وكان من ذلك الأمر بالاعتدال في القول والنهي عن الخضوع واللين فيه، والأمر بالإقرار في البيت، والنهي عن التبرج، والأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله، ثم بينت الآيات والجمل جزاء المستجيبين لهذه الأوامر والنواهي: ﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾. وتجيء هذه الأقطوعة كخاتمة لهذا الامتداد من الأوامر؛ لتقول لكل مؤمن ومؤمنة: إن أوامر الله ﷻ لا تقبل المساومة والاختيار ولا القعود عن الاستجابة، ومن فعل شيئًا من ذلك فقد عصا الله ورسوله، وماذا بعد المعصية سوى الضلال المبين والهلالك الأكيد.

والثانية: علاقة التمهيد

تبين لنا فيما مضى أن هذه الأقطوعة كانت أمتدادًا لما كان قبلها من المفاهيم، وهي من وجه آخر تعد بداية لما جاء بعدها، أو تمهيدًا لهذا الأمر الحاسم الذي قضاه الله تبارك وتعالى، وهو ز واج النبي ﷺ من مطلقة متبناه زيد بن حارثة؛ لأن الأمر في هذا الزواج كان قضاء من الله وتشريعًا يجب تنفيذه وما كان للرسول أن يكون له خيار في هذا الزواج بعد ما قضى الله فيه أمره.

ومن ذا المنطلق يتضح لنا أن هذه الأقطوعة جاءت واسطة بين ما مضي باعتبارها خاتمة امتداده، وما سيأتي باعتبارها البداية والتمهيد.

هذا، وتتماسك هذه الأقطوعة وترتابط فيما بينها من خلال العلاقتين التاليتين:

علاقة العطف : حيث عطف الجملة الثانية: ﴿وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا﴾ على الأولى في قوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.

علاقة التكرار: حيث تكرار المركب العطفي (الله ورسوله) مع اختلاف الموقع التركيبي في الجملتين، حيث جاء في الجملة الثانية منصوبًا في حين جاء في الأولى مرفوعًا.

الأقطوعة الثانية

وتمتد من الآية (السابعة والثلاثين) إلى نهاية الآية (التاسعة والثلاثين).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ/١ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا/٢ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً/٣ {٣٧} مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ/٤ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا/٥ {٣٨} الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللهَ/٦ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا/٧ {٣٩}﴾ [٣٧- ٣٩].

هاتان الآيتان أقطوعة واحدة، تكون بناؤها من سبع جمل أساسية تماسكت وتلاحمت بعضها مع بعض وغيرها من الوحدات النصية من خلال العلاقات النصية التالية:

- علاقة الإحالة:

ونتبين هذه العلاقة من خلال إحالة الضمائر المتنوعة إلى عناصر إشارية يوردها البحث مرتبة حسب ورودها في النص على النحوالتالي:

(النبي ﷺ - زيد بن حارثة – الأنبياء المرسلون عليهم السلام - زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها) بهذا الترتيب يمكن القول إن العنصرين الإشاريين (النبي ﷺ، وزيد بن حارثة) هما محور هذه الأقطوعة؛ لأن قضية التبني خاصة بهما، كما أن النبي ﷺ، وزيد بن حارثة هما اللذان ورد ذكرهما في النص؛ زيد باسمه، والنبي ﷺ بصفته، في حين لم يرد ذكر العنصرين الإشاريين الآخرين صراحة في النص، وهما: (المرسلون عليهم السلام، وزينب أم المؤمنين رضي الله عنها)، ومن ثم فالإحالة من خلالهما إحالة خارجية.

ويمكننا تتبع هذه العلاقة من خلال التماسك والترابط بين العناصر الإحالية والإشارية على النحو التالي:

النبي ﷺ: «تقول (أنت) – أنعمت – وتخفي (أنت) - نفسك - وتخشى (أنت) – تخشاه (أنت) – زوجناكها».

زيد بن حارثة رضي الله عنه: «للذي – عليه – عليه – عليك – زوجك – واتق (أنت)».

المرسلون عليهم السلام: «الذين – خلوا – الذين – يبلغون – ويخشونه – ولايخشون».

زينب بنت جحش رضي الله عنها: «منها – زوجناكها».

- علاقة التكرار :

ونتبين هذه العلاقة الرابطة بين مفاهيم هذه الأقطوعة من خلال تكرار لفظ الجلالة (الله) الوارد باللفظ أو بالإحالة. وبيانه على النحو التالي:

«أنعم الله – واتق الله – ما الله – مبديه (هو) – والله أحق – أن تخشاه – زوجناكها – أمر الله – فرض الله – سنة الله – أمر الله – رسالات الله – ويخشونه – إلا الله – بالله».

- علاقة التعليل:

ونتبين هذه العلاقة من خلال الفاصلتين التاليتين:

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾، وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ فكل منهما جاء تذييلاً فيه تعليل لما قبله.

- علاقة التوكيد:

وتتضح هذه العلاقة في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ﴾؛ حيث جاء يؤكد الفاصلة قبله ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾ أي: ما دام أمر الله شيئًا مقدورًا، ولا محالة، فكيف يكون على النبي ﷺ حرجٌ في شيء من أمر الله.

وتتضح – أيضًا – في قوله تعالى: ﴿ لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾؛ حيث جاء **توكيدًا** لما قطعه الله تعالى من هذه النسبة: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ {٤} ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ ﴾[1].

- علاقة المخالفة

ونتبين هذه العلاقة من خلال الاستدعاء النصي بين قوله تعالى الوارد في سورة النساء: ﴿وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] وقوله: ﴿ لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ وبيانه: أن ما ورد في آية التحريم من سورة النساء إنما كان حديثًا عن حليلة الابن الشرعي الصُّلبي؛ ومن ثم جاء التحريم والحرمة؛ احترازًا من الابن الدّعيّ. أما ما ورد (هنا) في هذه السورة الكريمة إنما كان حديثا عن الابن الدّعيّ الذي ليس هو من الصلب؛ ومن ثم جاء الإحلال والحلة. ويرى البحث أن الرابط بينهما هو علاقة المخالفة.

الأقطوعة الثالثة

وتمتد من بداية الآية (الأربعين) إلى نهايتها

قال تعالى: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ/١ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا/٢** {٤٠}﴾ [الآية: ٤٠].

هذه -الآية - حسب المقاصد النصية – هي الأقطوعة الثالثة من القطعة الثالثة في هذا المقطع الثالث من السورة الكريمة، ويتكون بناؤها من جملتين أساسيتين.

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣/ ٧٨٣.

وترتبط هذه الأقطوعة وتتماسك بما جاء قبلها من خلال علاقة التوكيد .فقد تبين لنا فيما مضى أن زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش جاء مباشرًا دون تدخل من أحد، وتبين لنا أنه لا غرابة في هذا الزواج؛ لأنه كان أمرًا من الله مفعولاً، وقدرًا في علمه مقدورًا. وجاءت هذه الأقطوعة تؤكد امتداد هذه المفاهيم؛ فإن محمدًا ﷺ لم يكن أبا أحد منكم، حتى تحرم عليه زوجه، وإنما صلته بكم جميعًا صلة الداعي إلى الله بمن يدعوهم، ثم إن صلته هذه ستظل باقية بقاء هذه الدنيا؛ لأنه لا نبي، ولا رسول بعده.

كما أنها جاءت – أيضًا – **تؤكد** ما ورد في المقطع الأول من قطع نسبة الدّعىّ في قوله تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**﴾ [الآية: ٤].

هذا، وارتبطت الجملة المستأنفة ﴿وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ بما قبلها: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ على سبيل التعليل، إذن إن الخبر المثبت في الجملة الثانية جاء علة لما ورد من خبر منفي في الأولى.

يبقى على البحث قبل ترك هذا المقطع والإقلاع منه إلى المقطع التالي أن يبين بالاستدعاء أن هذا المقطع يتلاقى ويتشابك عبر علاقة التشابه مع المقطع الثاني في سورة النساء، وذلك على النحو التالي:

يبدأ المقطع الثاني في سورة النساء بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

وفي سورة الأحزاب يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴾ [الآية: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الآية: ٣٠].

وفي المقطع الثاني من سورة النساء يقول سبحانه: ﴿ وَلاَ تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النساء: ٢٢].

وفي هذا المقطع من سورة الأحزاب يقول سبحانه: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾

[الآية: ٣٧]. وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الآية: ٤٠].

وهكذا تلاحمت الوحدات النصية في هذا المقطع وتشابكت بعضها مع بعض، وغيرها من الوحدات النصية الأخرى في السورة وخارجها، كل ذلك من خلال شبكة من العلاقات النصية المتنوعة في اللفظ والمفهوم.

(المقطع الرابع)

ويمتد من الآية (الحادية والأربعين) إلى نهاية الآية (الرابعة والأربعين)

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا/١ {٤١} وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً/٢ {٤٢} هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ/٣ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا/٤ {٤٣} تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ/٥ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا/٦ {٤٤}﴾ [الآيات: ٤١ - ٤٤].

هذه الآيات الأربعة – حسب المقاصد والأغراض النصية – هي المقطع الرابع في ترتيب مقاطع السورة الكريمة، ويتكون بناؤه الأفقي من ست جمل أساسية.

ولقد بين هذا المقطع أن سبب الهداية هو صلاة الله وملائكة على المؤمنين، ومجيء هذه الجملة ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ في سياق جملة التوقع المبدوءة بالأمر: ﴿اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ يشير إلى أن الذكر الكثير هو الطريق لصلاة الله علينا. ومن ثم كانت العلاقة الجامعة بين الجملتين الأولى والثانية – وهما متماسكتان بعلاقة العطف – والجملة الثالثة هي علاقة السببية. هذا من جهة، وعلاقة الجملة الثالثة بالجملتين الأولى والثانية هى علاقة الترتب أو النتيجة. وهذه جهة أخرى.

كما جاءت علاقة الإحالة، لتقوم بدورها الفاعل في التماسك والترابط بين هذه المفاهيم الجزئية، حيث ضميرا الغائب، والموصول المحيلان إلى لفظ الجلالة (الله) وهو المحور الرئيسي الأول في هذا المقطع، وذلك على النحو التالي:

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ← وسبحوه – هو – الذي يصلي (هو) – ملائكته – ليخرجكم (هو) – وكان (هو) – يلقونه – وأعد (هو)».

كما أن الضميرين: الغائب والمخاطب في المقطع يحيلان إلى عنصر إشاري آخر،

وهو المحور الرئيسي الثاني في هذا المقطع، أعنى به (المؤمنين) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وذلك على النحو التالي:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ← اذكروا – وسبحوه – عليكم – ليخرجكم – تحيتهم – يلقونه – لهم).

كم لعبت علاقة التوكيد – أيضًا – دورًا فاعلاً في الربط والوصل بين المفاهيم، ويتضح دور هذه العلاقة في الربط بين الفواصل وما قبلها وقد تمثل ذلك في جملة: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾، وجملة: ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ حث جاءت كل منهما تذييلاً يؤكد ويقرر ما ورد قبله.

وهكذا تلاحمت وتشابكت المفاهيم الجزئية التي وردت في هذا المقطع من خلال العلاقات النصية ذات الترابطين: اللفظي والمفهومي.

هذا عن علاقة مفاهيمه الجزئية بعضها مع بعض. أما عن علاقته بما قبله، فقد تبين لنا أن المقطع السابق ذكر علامات الإيمان، ومما ذكره ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ فناسب أن يؤمر المؤمنون أمرًا خاصًا بالذكر الكثير؛ ليبين لهم محله وأهميته في دين الله، وليبين لهم الطريق للتحقق؛ فقد جاء من قبل قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ ومن ثم فالذكر الكثير طَريق الاقتداء برسول الله ﷺ، وهوإحدى صفات المسلمين، وعليه فقد أفرد بمقطع خاص به، بعد أن مهَّد المقطع السابق لذلك.

إذن فالصلة أو العلاقة الرابطة بين هذا المقطع وما قبله هي علاقة الامتداد ، كما أن ما قبله كان تمهيدًا له.

هذا، و بالاستدعاء، حيث علاقة التشابه بين ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]، وما ورد في وحدات نصية أخر، كقوله تعالى في سورة النساء: ﴿فَاذْكُرُوا اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]، وقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١]، إلى غير ذلك من الوحدات النصية المتضمنة هذا المفهوم.

هذا ، وقبل مغادرة هذا المقطع إلى الذي يليه يذكر البحث وجه المشابهة؛ حيث

الصلة بين قوله تعالى – هنا - : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وبين قوله تعالى في المقطع الثاني من سورة المائدة: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ {١٥} يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦].

وهكذا تماسكت المفاهيم وتلاحمت في هذا المقطع بعضها مع بعض، وكذا مع غيرها من الوحدات النصية داخل السورة وخارجها.

(المقطع الخامس)

ويمتد من الآية (الخامسة والأربعين) إلى نهاية الآية (الثامنة والأربعين)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا {٤٥} وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا[١] {٤٦} وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيرًا[٢] {٤٧} وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ[٣] وَدَعْ أَذَاهُمْ[٤] وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ[٥] وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً[٦] {٤٨}﴾ [الآيات: ٤٥ - ٤٨].

هذه الآيات الأربعة هي المقطع الخامس، المتكون بناؤه من ست جمل أساسية، ترابطت جميعها وتماسكت وغيرها من الوحدات النصية عبر شبكة من العلاقات النصية.

والمتأمل في سياق هذا المقطع والذي قبله يلحظ وجه الصلة أو العلاقة التي ربطت بينهما. فبعد أمر الله تعالى المؤمنين بالذكر، ووعده سبحانه إياهم في قوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ انعطف الأسلوب من خطاب الجماعة المؤمنة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ إلى خطاب رائدها ﷺ؛ ليذكره برسالته في الأرض: بأنه بشير ونذير، وشاهد وسراج منير. فالمقطعان من خلال الامتداد التكميلي أو علاقة التكميل يكمل أحدهما الآخر؛ فالمقطع السابق فيه حديث عن (التبشير) وفي هذا المقطع حديث عن (البشير النذير) ﷺ.

والناظر في هذا المقطع يلحظ – أيضًا – وجه الصلة أوالعلاقة الرابطة بينه وبين ما ورد في المقطع الأول. ففي هذا المقطع يقول سبحانه: ﴿وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾. وقال في المقطع الأول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ

اتَّقِ اللهَ وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ............ **وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾**؛ ومن ثم تكون العلاقة الرابطة بين المقطعين هي علاقة المشابهة، التي انخرط وانسلك في مضمونها وفحواها التوكيد والتقرير.

هذا، وقد تلاحمت مفاهيم هذا المقطع وتشابكت خيوطها من خلال العلاقات النصية التالية:

أولا: علاقة الإحالة، حيث إحالة ضمير المخاطب إلى العنصر الإشاري المحور في هذا المقطع، وهو (النبي) ﷺ، وتفصيله ما يلي:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ← أرسلناك – شاهدًا (أنت) – ومبشرًا (أنت) – ونذيرًا (أنت) – وداعيًا (أنت) – وسراجًا منيرًا (أنت) – وبشر (أنت) – ولا تطع (أنت) – ودع (أنت) - وتوكل(أنت).

ثانيًا: علاقة العطف، حيث الجمع بين المفاهيم الجزئية، وبيانه كالتالي:

(وبشر المؤمنين/ ولا تطع الكافرين / ودع أذاهم/ وتوكل على الله)

ثالثًا: علاقة التكرار ، حيث تكرار أسلوب الطلب المخاطب به (النبي) ﷺ، أي:(بشر المؤمنين – لا تطع الكافرين – دع أذاهم – توكل على الله).

كما نلحظ **علاقة التكرار الاشتقاقي** الرابطة بين الجملتين الأول والثانية في قوله تعالى: ﴿**وَمُبَشِّرًا**﴾، و﴿**وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ ، والوارد – أيضًا – في الجملتين: الخامسة والسادسة: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ**٥/ **وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً**٦/﴾.

هذا، ويرتبط **بالاستدعاء** قوله تعالى: ﴿ **وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيرًا**﴾ بقوله تعالى في سورة الشورى: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**﴾ [الشورى: ٢٢]، وذلك من خلال **علاقة التوضيح**، حيث لم يوضح المراد بالفضل الكبير في جملة الأحزاب وبينه موضحًا في سورة الشورى[١].

---

(١) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان ٦/ ٦٤٢.

(المقطع السادس)

ويمتد من بداية الآية (التاسعة والأربعين) إلى نهايتها

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٤٩﴾ [الآية: ٤٩].

هذه هي الآية (التاسعة والأربعون)، وهي – حسب المقاصد والأغراض النصية المرصودة في هذه السورة الكريمة – تعد المقطع السادس، الذي تكون بناؤه الأفقي من ثلاث جمل أساسية.

ويأتي هذا المقطع بعد المقطع الخامس كمقطع مستقل، إذ إنه نموذج على إضاءة هذا الإسلام للإنسان طريقه في كل شيء حيث قوله سبحانه: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾. ومن ثم يأتي هذا المقطع كنموذج أو مثال على حكم من أحكام الإسلام الذي يدعو إليه نبي الله ﷺ. ومن ثم يرى البحث أن العلاقة الرابطة بين هذا المقطع والوارد قبله هي علاقة التمثيل.

والناظر في هذا المقطع يتضح له ويتبين مدى دور علاقة الإحالة في الربط القائم بين مفاهيمه، حيث الضمائر المحيلة بالمرجعية السابقة إلى لفظ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ولفظ (المؤمنات)، وبيانها ما يلي:

(يا أيها (الذين آمنوا) إذا نكحتم (المؤمنات) ثم ← طلقتموهن – من قبل أن تمسوهن – فما لكم عليهن من عدة تعتدونها، فمتعوهن، وسرحوهن).

كما لعبت العلاقتان: العطف والتكرار دورًا بارزًا في الربط والوصل بين الجملتين: الثانية والثالثة، حيث العطف بين مفهوميهما المتكرر فيهما أسلوب الطلب المخاطب به (الذين آمنوا).

وبعد، فلينتقل البحث إلى المقطع التالي، وهو السابع في ترتيب مقاطع السورة الكريمة.

(المقطع السابع)

ويمتد من الآية (الخمسين) إلى نهاية الآية (الثانية والخمسين)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاَتِكَ اللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ[1] قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلاَ يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ[2] وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا[3] {٥٠} تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ[4] وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ[5] وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ[6] ذَلِكَ أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلاَ يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ[7] وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ[8] وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَلِيمًا[9] {٥١} لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلاَ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ[10] وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا[11] {٥٢}﴾ [الآيات: ٥٠ - ٥٢].

هذه الآيات الثلاثة على امتدادها – حسب المقاصد النصية المرصودة – تعدُّ مقطعًا واحدًا، تكون بناؤه الأفقي من إحدى عشرة جملة أساسية، تماسكت وترابطت مفاهيمها عبر شبكة من العلاقات النصية.

إن المتأمل في سياق هذا المقطع يلحظ ما يلي:

أولاً: أن هذا المقطع قد سبق بمقطع تحدثت مفاهيمه الجزئية عن بعض أحكام النكاح في الإسلام، وذلك على سبيل العموم ، ثم جاء المقطع الذي بين أيدينا تحدثنا مفاهيمه عن أحكام خاصة في شأن زواج الرسول ﷺ. فهذا التزواج بين المقطعين؛ حيث التوجه في المقطع السابق بالخطاب إلى المؤمنين، وفي المقطع الذي بين أيدينا إلى النبي ﷺ. وهذا يؤكد مدى الصلة بين المقطعين؛ ومن ثم يرى البحث أن العلاقة أو الصلة القائمة بين المقطعين العموم والخصوص.

ثانيًا: أن سياق هذا المقطع بمجموعه يذكرنا بمطلع السورة ومقدمتها، حيث المقطع الأول، الآمرة بدايته بالتقوى، وترك الطاعة للكافرين والمنافقين، والآمرة باتباع الوحي والتوكل على الله تعالى. وذلك التذكير نتبينه من مجموع الأحكام الوارد ذكرها – هنا – في هذا المقطع، فكلها من الوحي الواجب الاتباع، الموجب للتوكل على الله

سبحانه، الذي – لا شك – يشكل جزءًا من التقوى. ومن ثم – يرى البحث – أن هذا المقطع بمجموعه مرتبط ومتصل بما جاء في مقدمة المقطع الأول، وذلك من خلال علاقة التضميين؛ لأن ما جاء في هذا المقطع من أحكام كان ضمنًا ورد في مقدمة المقطع الأول.

هذا، وتتشابك مفاهيم هذا المقطع وتتلاحم من خلال العلاقات النصية التالية:

أولا ـ علاقة الإحالة

حيث إحالة ضمائر الحضور والغيبة، وذلك من خلال المرجعية السابقة إلى لفظ (النبي) ﷺ ولفظ (أزواجك) أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وبيانه على النحو التالي:

(يا أيها (النبي) إنا أحللنا لك (أزواجك) ← اللاتي – آتيت – أجورهن – يمينك – عليك – عمك - عماتك – خالك – خالاتك – التي هاجرن - معك – يستنكحها (هو) – لك، ترجي (أنت) – تشاء (أنت) – منهن، وتؤي (أنت) – تشاء (أنت)، ابتغيت – عزلت – عليك، أعينهن – ولا يحزن – ويرضين – آتيتهن – كلهن، بهنّ – حسنهنّ – يمينك) فكل هذه الضمائر – كما هو واضح – مرجعيتها مرجعية سابقة.

كما يحيل ضمير الإشارة المقرون بكاف الخطاب «ذلك» في قوله ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ ﴾ إلى ما سبق ذكره القريب المدى، الوارد في قوله: ﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾.

ثانيًا: علاقة التكرار

حيث الربط والوصل بين قوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ وقوله: ﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾، وهو ما يطلق عيه النصيون بالتكرار المتوازي.

ثالثًا: علاقة العطف

ونتبين دور هذه العلاقة من خلال الجمع بين المفاهيم التالية، عبر حرف الواو، قال تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ / **وَتُؤْوِي** إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ / **وَمَنِ ابْتَغَيْتَ** مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾.

رابعًا: علاقة التوكيد

حيث جاءت كل فاصلة من هذه الفواصل الثلاثة: ﴿ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾،

و﴿ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾، و﴿ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ تذييلاً يؤكد ويقرر ما ورد قبله من مفهوم.

وهكذا تبين لنا واتضح كيف تلاحمت وحدات هذا المقطع وتشابكت بعضها مع بعض وغيرها من الوحدات النصية في السورة الكريمة عبر شبكة من العلاقات النصية ذات الترابطين: اللفظي والمفهومي.

هذا، ولينتقل البحث إلى المقطع الثامن لنرى كيف ترابطت وحداته النصية وتماسكت وغيرها من الوحدات النصية، وذلك عبر شبكة العلاقات النصية المرصودة في سياق النص المدروس.

(المقطع الثامن)

ويمتد من الآية (الثالثة والخمسين) إلى نهاية الآية (الثامنة والخمسين)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تؤْذُوا رَسُولَ الله وَلاَ أَن تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ الله عَظِيمًا {٥٣} إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا {٥٤} لاَ جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلاَ أَبْنَائِهِنَّ وَلاَ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلاَ نِسَائِهِنَّ وَلاَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا {٥٥}[1] إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا {٥٦} إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا {٥٧} وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا {٥٨}[2]﴾ [الآيات: ٥٣ - ٥٨].

هذه الآيات الستة هي المقطع الثامن في ترتيب مقاطع السورة الكريمة، قام بناؤه من حيث المستوى الأفقي على عدد من الجمل الأساسية، ومن حيث المستوى الرأسي تكون من قطعتين تماسكت وحداتها وتشابكت بعضها مع بعض وغيرها من الوحدات النصية من خلال شبكة من العلاقات النصية. وتفصيل وبيان هاتين القطعتين جاء على النحو التالي:

(القطعة الأولى)

وتمتد من الآية (الثالثة والخمسين) إلى نهاية الآية (الخامسة والخمسين)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ/١ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا/٢ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ/٣ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ/٤ وَاللهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ/٥ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ/٦ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ/٧ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تؤْذُوا رَسُولَ الله وَلاَ أَن تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا/٨ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ الله عَظِيمًا/٩ {٥٣} إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا/١٠ {٥٤} لاَ جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلاَ أَبْنَائِهِنَّ وَلاَ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلاَ نِسَائِهِنَّ وَلاَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ/١١ وَاتَّقِينَ اللهَ/١٢ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا/١٣ {٥٥}﴾ [الآيات: ٥٣ - ٥٨].

هذه الآيات الثلاثة – حسب مقاصد النصية – قطعة واحدة تكون بناؤها من ثلاث عشرة جملة أساسية، تلاحمت جميعها وتشابكت وغيرها من الوحدات النصية عبر كوكبة من العلاقات النصية.

ولعل المتأمل في سياق هذه القطعة وما جاء قبلها يلحظ وجه الصلة أو العلاقة بينهما. فقد جاء المقطع السابق في مجمله يتحدث عما أحل الله تعالى لنبيه من النساء، وما حرم عليه منهنَّ، وما هو خاص به، وما هو عام للمؤمنين والمؤمنات. وجاءت هذه القطعة من هذا المقطع الذي بين أيدينا تحدثنا عما يجب على المؤمنين نحو بيوت (النبي) ﷺ وأزواجه من معاملات جائزة ومحرمة. ومن ثم يرى البحث أن العلاقة القائمة بالربط والوصل بين هذه القطعة وما جاء فيها، وما ورد في المقطع السابق من مفاهيم هي علاقة امتداد.

هذا، ناهيك عن وجه المشابهة القائمة بين المفاهيم التي وردت في الوحدتين: المقطع السابق، وهذه القطعة من هذا المقطع الذي بين أيدينا. فقد ورد بهذه المشابهة المفاهيم التالية: ما أحله الله تعالى لنبيه ﷺ من النساء، وما حرمه عليه منهن، وما يجب على المؤمنين نحو بيوت النبي ﷺ وأزواجه من معاملات جائزة ، وأخرى محرمة.

هذا عن وجه الصلة أو العلاقة بين هذه القطعة وما ورد قلبها في المقطع السبق.

وإذا انتقل بنا الحديث إلى وجوه الصلة أو العلاقات الرابطة بين مفاهيم هذه القطعة فقد رصدها البحث على النحو التالي:

أولاً: علاقة الإحالة ، حيث الضمائر المحيلة بالمرجعية السابقة إلى المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وبيانه على النحو التالي:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ لا تدخلوا – لكم – ناظرين (أنتم)، دعيتم – فادخلوا، طعمتم – فانتشروا – ولا مستئنسين (أنتم)، ولكم – منكم، سألتموهن – فاسألوهن، ذلك – لقلوبكم، لكم – ولا أن تنكحوا، ذلكم، أن تبدوا – أو تخفوه».

ونتبين علاقة الإحالة – أيضًا – من خلال إحالة ضمير (النسوة) - عبر المرجعية السابقة واللاحقة – إلى لفظ (أزواجه) في قوله تعالى: ﴿ وَلاَ أَن تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ﴾ ومن الملاحظ أن اللفظ المحال إليه كلمة (محور) في هذه القطعة، لم ترد في أولها أو آخرها، وإنما وردت في منتصفها وبيان ذلك ما يلي:

«سألتموهن – فاسألوهن، قلوبهن (أزواجه)، لا جناح عليهن – آبائهن – أبنائهن – إخوانهن – أخواتهن – نسائهن، أيمانهن، واتقين الله»

وتتضح علاقة الإحالة ـ كذلك ـ من خلال الإحالة بضمير الإشارة (ذلكم) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا﴾.

والمرجعية في الموضعين مرجعية سابقة؛ حيث أحال (الأول) إلى الإيذاء الواقع على النبي ﷺ من خلال تطلع المؤمنين إلى استعجال طهي الطعام. وأحال (الثاني) إلى الإيذاء الواقع على النبي ﷺ من خلال عدم الاستجابة إل المحافظة على ستر نسائه ﷺ.

ومن الملاحظ أن الإحالة في الموضعين السابقين إحالة نصية مقطعية لا معجمية، كما أننا نلحظ أن العنصرين: المحيلين في الجملتين واحد وكذا المحال إليهما . فالعنصر المحيل في الموضعين هو «ذلكم»، والعنصر الإشاري المحال إليه هو (الإيذاء). ومن ثم فقد تلاحمت وتشابكت الوحدات من خلال الترابطين: اللفظي والمفهومي.

ثانيًا: علاقة التكرار، حيث تلاحمت الجمل: الأولى، والرابعة، والثامنة من خلال التكرار الواقع باللفظ والترادف، وتتضح هذه العلاقة من خلال العرض التالي: قال

تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ **النَّبِيِّ** إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾، وقال ﴿ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي **النَّبِيَّ**﴾ وقال: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تؤْذُوا **رَسُولَ** اللهِ﴾. وهكذا تماسكت الجمل الثلاثة وترابطت من خلال هذه العلاقة المتباينة في النمط.

ثالثًا: علاقة الاستدراك ، ونتبين هذه العلاقة في قوله تعالى: ﴿.....وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا﴾ ففي الجملة المعطوفة استدراك من النهي عن الدخول بغير إذن . والمعنى: ولكن إذا أذن لكم في الدخول، ودعيتم إلى الطعام، فادخلوا بيوته على وجوب الأدب، وحفظ أحكام تلك الجلسة.

هذا عن الاستدراك اللفظي، حيث الأداة (لكن)، وثمة استدراك آخر يمكن بالتأمل والتأني نتبينه عند قراءة قوله: ﴿ لاَ جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلاَ أَبْنَائِهِنَّ وَلاَ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلاَ نِسَائِهِنَّ وَلاَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾.

فقد ربطت الجملة الأولى، وهي السادسة في ترتيبها في القطعة بالثانية، وهي الحادية عشرة في ترتيبها من خلال علاقة الاستدراك المفهومي. المعنى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ ولكن ﴿لاَ جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلاَ أَبْنَائِهِنَّ وَلاَ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلاَ نِسَائِهِنَّ وَلاَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾.

رابعًا: علاقة التعليل، وتتضح هذه العلاقة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ ﴾ وقوله: ﴿ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا ﴾ وقوله: ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ حيث جاءت كل جملة من الجملَ الثلاثة السابقة تعلل ما ورد قبلها من مفهوم.

وبعد، فإذا كانت هذه القطعة قد تناولت بالذكر وجوب احترام النبي ﷺ حال خلوته بقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ**﴾ فكان من التتمة أو الإتمام أن يتناول احترامه ﷺ في الملأين: الأعلى والأدنى حيث قوله تعالى في القطعة التالية: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾ [الآية: ٥٦]، و﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الآية: ٥٦]

وهكذا تكون علاقة الإتمام هي الرابط والواصل بين هذه القطعة التي بين أيدينا، والقطعة التالية. وعليه فلينتقل البحث إلى القطعة التالية.

(القطعة الثانية)

وتمتد من الآية (السادسة والخمسين) إلى نهاية الآية (الثامنة والخمسين)

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ[1] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا[2] {٥٦} إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا[3] {٥٧} وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا[4] {٥٨} ﴾

[الآيات: ٥٦ - ٥٨]

هذه هي القطعة الثانية من المقطع الثامن، جاءت في ثلاث آيات، وتكون بناؤها من أربع جمل أساسية، تلاحمت جميعها وتشابكت وغيرها من الوحدات النصية عبر شبكة من العلاقات النصية المتنوعة.

وقد بين البحث فيما مضى وجه الصلة أو العلاقة الرابطة بين هذه القطعة والسابقة عليها، وتبين لنا أن هذه القطعة جاءت تتمة لما سبقتها، وذلك عبر علاقة الإتمام.

هذا تذكير بالعلاقة النصية الواصلة بين القطعتين. فإذا انتقل بنا الحديث عن العلاقات النصية الرابطة بين مفاهيم هذه القطعة فقد رصدها البحث على النحو التالي:

أولاً: علاقة السببية ؛ حيث جاءت الجملة الأولى في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ سببًا وتعليلاً للجملة الثانية في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. ومن الواضح أن الربط بين السبب والمسبب جاء على غير المعتاد؛ لأن السبب لابد أن يتأخر عن المسبب. ويرى البحث أن تقديم السبب على المسبب – هنا – إنما جاء على سبيل أنه العظيم بالترتيب، فالمقدم عظيم، والمؤخر نابه التشريف من المقدم. والتقديم – كما ورد نصًا – فيه الوجوب.

ثانيًا: علاقة الترتُّب ، وتتضح هذه العلاقة من خلال قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، حيث جاءت جملته نتيجة لما قبلها، ومترتبة عليها، فصلاة المؤمنين وتسلميهم على النبي ﷺ جاء مرتبًا على صلاة الله تعالى وملائكته عليه ﷺ.

ثالثًا: علاقة الضم ، وتتضح هذه العلاقة من خلال عطف الجملة المستأنفة: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ على جملة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

والاستئناف – هنا – استئناف جزئي، والمعنى في الجملتين – كما هو واضح من ألفاظهما – مرتبط من حيث المفهوم؛ ففي الجملتين حديث عن الإيذاء، وقد جاء الثاني امتدادًا متوقعًا بعد ورود الأول.

وبعد، فقد تبين واتضح من خلال العرض كيف تلاحم هذا المقطع وتشابك في وحداته النصية بعضها مع بعض، وغيرها من الوحدات النصية، وذلك عبر شبكة العلاقات النصية المرصودة في سياق النص المدروس.

والآن فلينتقل البحث بنا إلى المقطع التاسع.

(المقطع التاسع)

ويمتد من الآية (التاسعة والخمسين) إلى نهاية الآية (الثامنة والستين)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا {٥٩} لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً {٦٠} مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً {٦١} سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً/ ١ {٦٢} يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا {٦٣} إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا {٦٤} خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لاَّ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا {٦٥} يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ {٦٦} وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا {٦٧} رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا/ ٢ {٦٨} ﴾ [الآيات: ٥٩ - ٦٨].

هذا هو المقطع التاسع، جاء في عشر آيات، وقد تكون بناؤه من حيث المستوى الأفقي من عدة جمل أساسية، ومن حيث المستوى الرأسي من قطعتين. تماسكت كل قطعة مع أختها وتلاحمت مع غيرها من الوحدات النصية الأخرى عبر شبكة من العلاقات النصية .

(القطعة الأولى)

وتمتد من الآية (التاسعة والخمسين) إلى نهاية الآية (الثانية والستين)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ[1] ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ[2] وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا[3] {٥٩} لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً {٦٠} مَلْعُونِينَ[4] أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً[5] {٦١} سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ[6] وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً[7] {٦٢}﴾ [الآيات: من ٥٩ إلى ٦٢].

هذه الآيات الأربعة - حسب الأغراض والمقاصد النصية - قطعة واحدة، تكون بناؤها النصي من سبع جمل أساسية، تماسكت مفاهيمها جميعها وتلاحمت وغيرها من الوحدات النصية عبر كوكبة من العلاقات النصية.

هذا، والصلة أو العلاقة بين هذه القطعة وما ورد قبلها واضحة، حيث جاء في المقطع الثامن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا {٥٧} وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾، وجاء في هذه القطعة: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ﴾.

كما جاء - هنا - في هذه القطعة عقاب المنافقين الذين يؤذون الله تعالى ورسوله والمؤمنين... حيث قال: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً﴾.

ولما نهى الله تعالى عن إيذاء الله ورسوله والمؤمنين والمؤمنات انتقل إلى بيان بعض أسباب الإيذاء، وهي كشف مفاتن الجسم أو بعضها على عادة الجاهلية. وكان الله تبارك وتعالى قد أمر نساء رسول ﷺ أن يقررن في بيوتهن ولا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، ثم أمرهن وأمر المؤمنين اتخاذ الحجاب بينهم فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾، ولما كان خروج نساء النبي ﷺ وبناته ونساء المؤمنين أمرًا واردًا فقد بين لهن آدابه حتى لا يتعرض في خروجهن لما يؤذين من مرضى القلوب الذين يتبعون العوارت ويسيئون إلى المحارم فأمرهن أن يدنين عليهن من جلابيبهن ليعرفهن الناس فلا يتعرضوا لهن بالأذى. ومن ثم تكون هذه القطعة قد

اتصلت وترابطت بما قبلها من خلال علاقة الامتداء ؛ فمفاهيمها الجزئية جاءت امتدادًا لما ورد من مفاهيم في المقطع السابق.

هذا عن الصلة أو العلاقة القائمة بين هذه القطعة وما ورد من مفاهيم فيما جاء قبلها. أما عن العلاقات النصية القائمة بالربط والوصل بين مفاهيها الجزئية فقد جاءت على النحو التالي:

أولًا: علاقة السببية ، وتتضح هذه العلاقة من قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ﴾ الذي جاءت جملته تعليلًا لما ورد قبلها من أمر في الجملة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ﴾.

ثانيًا: علاقة التوكيد ، ونتبين هذه العلاقة من الجملة المعطوفة على ما قبلها في المعنى: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلاً﴾، حيث جاءت تؤكد ما قبلها من خلال عطفها على معناها في قوله: ﴿سُنَّةَ الله فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾.

ثالثًا: علاقة الإحالة ، ونتبين هذه العلاقة من خلال ما يلي:

* إحالة ضمائر الغيبة على العنصر الإشاري الوارد بلفظ (المنافقون) و(مرضى القلوب) و(المرجفون). حيث ربطت العناصر الإحالية التالية: (ثُقفوا - أخذوا - قتلوا) بالمرجعية السابقة بما ورد قبلها من العناصر الإشارية الوارد ذكرها.

* إحالة ضمير الإشارة (ذلك) بالمرجعية السابقة إلى جملة (يدنين عليهن من جلابيبهن).

هذا، وبعدما ذكر الله تعالى في هذه القطعة حال هذه الفئات الثلاثة - أعنى: المنافقين، ومرضى القلوب، والمرجفين في الدنيا - وأنهم لعنوا، وأهينوا، وقتلوا... عطف على ذلك استئنافًا ذكر حالهم في الآخرة، فذكرهم بيوم القيامة، وبين ما يكون لهم في هذا اليوم العظيم. ومن ثم جاءت القطعة التالية موصولة بالتي بين أيدينا من خلال علاقة الامتداد.

(القطعة الثانية)

وتمتد من الآية (الثالثة والستين) إلى نهاية الآية (الثامنة والستين)

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ/١ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ الله/٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ

السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا/٣ {٦٣} إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا {٦٤} خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لاَّ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا/٤ {٦٥} يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ/٥ {٦٦} وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا/٦ {٦٧} رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا/٧ {٦٨}﴾ [الآيات: من ٦٣ - ٦٨].

هذه هي القطعة الثانية من المقطع التاسع، وجاءت في ست آيات، تكون بناؤها من سبع جمل أساسية. تشابكت وتلاحمت مفاهيمها الجزئية- كما بين البحث - بالقطعة الأولى عبر علاقة الامتداد .

هذا ويرتبط قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ ويتماسك عبر الاستدعاء النصي بما جاء نظيره في المعنى، حيث علاقة المشابهة بينه وبين قوله تعالى من سورة الأعراف: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقوله من سورة النازعات: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا {٤٢} فِيمَ أَنْتَ مِن ذِكْرَاهَا {٤٣} إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا {٤٤}﴾ [النازعات: ٤٢ - ٤٤]. ومن هذه المشابهة - أيضًا - ما جاء في سورة النساء عن المنافقين: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٨٩]، وما ورد - هنا -: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً﴾.

هذا عن الصلة أو العلاقة فيما بينها، وبين غيرها من الوحدات النصية المركزية واللامركزية، أو على حد ما اصطلح عليه البحث: المحلي والاستدعائي. أما عن العلاقات النصية القائمة بالوصل والربط بين مفاهيمها الجزئية فيمكن متابعتها على النحو التالي:

أولًا: علاقة الإحالة ، حيث الربط بين الجمل: الخامسة والسادسة والسابعة والجملة الرابعة عبر العناصر الإحالية التالية: «وجوههم - يقولون- ياليتنا - أطعنا- أطعنا، وقالوا - ربنا - إنا- أطعنا - سادتنا - كبراءنا - فأضلونا، ربنا - آتهم». فقد

أحالت هذه الضمائر كلها بالمرجعية السابقة إلى لفظ (الكافرين).

كما تتضح ـ أيضًا ـ هذه العلاقة من خلال الربط بين الجملتين الثانية والأولى، فقد أحال الضمير الغائب في لفظ (علمها) من الجملة الثانية: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ﴾ إلى لفظ (الساعة) الوارد ذكره في الجملة الأولى ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾ والمرجعية - هنا - مرجعية سابقة.

ثانيًا: علاقة التكرار، ونتبين هذه العلاقة من خلال التكرار الوارد بين المفاهيم الجزئية، كالتالي:

* تكرار لفظ (الساعة) في الجملة الثالثة بعد وروده في الأولى قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ **السَّاعَةِ**﴾، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ **السَّاعَةَ** تَكُونُ قَرِيبًا﴾.

* تكرار لفظ (ربنا) المنادي في الجملة السابعة، بعد وروده في الجملة السادسة. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا **رَبَّنَا** إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾ وقال: ﴿**رَبَّنَا** آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾.

* تكرار لفظ (أطعنا) الماضي في الجملة السادسة، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا **أَطَعْنَا** سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾، بعد ذكره في الجملة الخامسة مرتين، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا **أَطَعْنَا** اللهَ **وَأَطَعْنَا** الرَّسُولاَ﴾.

ثالثًا: علاقة العطف ، حيث الجمع بين الجملتين الثالثة والثانية من خلال (الواو). قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ **وَمَا** يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾.

رابعًا: علاقة الإجابة ، وتتضح هذه العلاقة من خلال الربط والوصل بين الجملتين الثانية والأولى، حيث جاءت الثانية إجابة عن سؤالهم المستفسر أو الساخر. قال تعالى: ﴿ **يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا**﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وبعد، فقد تبين لنا واتضح كيف تشابكت مفاهيم هذا المقطع بعضها مع بعض، وغيرها من الوحدات النصية المحلية والاستدعائية، وذلك عبر شبكة من العلاقات النصية المتنوعة في اللفظ والمفهوم .

(المقطع العاشر)

ويمتد من الآية (التاسعة والستين) إلى نهاية الآية (الثالثة والسبعين)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا {٦٩} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا {٧٠} يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا /١ {٧١} إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً {٧٢} لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا /٢ {٧٣}﴾ [الآيات: ٦٩ - ٧٣].

هذا المقطع هو خاتمة المقاطع المرصودة في سياق نص السورة الكريمة ، وقد جاء - كما هو بين - في خمس آيات. ويتكون هذا المقطع من حيث المستوى الأفقى من عدد من الجمل الأساسية، ومن حيث المستوى الرأس يتكون بناؤه من قطعتين نصيتين، تماسكت وحداتهما النصية وترابطت عبر كوكبة من العلاقات النصية. كلٌّ رصد في سياقه النصي المدروس، وبيانه كالتالي:

(القطعة الأولى)

وتمتد من الآية (التاسعة والستين) إلى نهاية الآية (الحادية والسبعين).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا /١ وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا /٢ {٦٩} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا {٧٠} يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ /٣ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا /٤ {٧١}﴾ [الآيات: ٦٩ - ٧١].

هذه الآيات الثلاثة - حسب المقاصد والأغراض المرصودة- هي القطعة الأولى، ويتكون بناؤها من أربع جمل أساسية تماسكت مفاهيمها الجزئية وترابطت بعضها مع بعض، وغيرها من الوحدات النصية الأخرى، وذلك من خلال شبكة من العلاقات النصية، بيانها العرض التالي:

إن المتأمل في مطلع هذه القطعة ليلحظ مدى الصلة أو العلاقة بينها وما جاء قبلها

من الوحدات النصية، وبيان ذلك وتفصيله فيما يلي:

جاء في القطعة الأولى من المقطع الثامن قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تؤْذُوا رَسُولَ الله وَلاَ أَن تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ [الآية: ٥٣]، وفي القطعة الأولى من المقطع التاسع جاء قوله: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الآية: ٦٠]، وجاء في هذه القطعة الأولى من هذا المقطع العاشر قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ الله وَجِيهًا﴾ [الآية: ٦٩].

ولما ذكر الله سبحانه وتعالى - فيما سلف - أن من يؤذي الله ورسوله يلعنه الله في الدنيا والآخرة، ولا شك أن هذا في الإيذاء الذي يؤدي إلى الكفر، وقد حصره الله تعالى في النفاق، ومرض القلب، والإرجاف على المسلمين... أعقب ذلك بإيذاء دون ذلك، لا يورث الكفر، كما ورد في إيذاء بني إسرائيل لنبي الله موسى عليه السلام. ومن ثم فالسياق في المقاطع الثلاثة ممتد، والعلاقة اللاحمة والواصلة بينها هي علاقة الامتداد.

هذا، ويرتبط قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ الله وَجِيهًا﴾ [الآية: ٦٩]. ويتماسك بالاستدعاء، عبر علاقة المشابهة بقوله تعالى من سورة الصف: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

كما نلحظ - أيضًا - وجه المشابهة عبر هذه العلاقة بين ما جاء في هذه القطعة من هذا المقطع، وما جاء في مطلع القطعة الأولى من المقطع الأول.

جاء في مطلع القطعة الأولى من المقطع الأول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١] وجاء في هذه القطعة من هذا المقطع قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾ [الآية: ٧٠].

ومن ثم يتبين لنا ويتضح أن وجه الحديث وبيانه في هذه القطعة من المقطع الذي بين أيدينا ينعطف على ما جاء في مطلع القطعة الأولى من المقطع الأول، وكما أوضح البحث أن الصلة أو العلاقة القائمة بالوصل أو الربط بين هاتين الوحدتين هي علاقة المشابهة، فهي المسئولة عن هذا الانعطاف.

هذا عن الصلة أو العلاقة بين هذه القطعة وغيرها من الوحدات النصية. أما عن العلاقات النصية القائمة بالربط والوصل بين المفاهيم الجزئية في هذه القطعة فقد جاءت على النمطين التاليين:

أولهما: **علاقة التكرار**، وتتضح هذه العلاقة من خلال التكرار الأسلوبي الوارد في الجملتين **الثانية والأولى**؛ حيث تكرار النداء وجوابه الطلبي. قال تعالى في الجملة الثانية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا**﴾ [الآية: ٧٠]، وقال تعالى في الأولى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى**﴾ [الآية: ٦٩].

والثاني: **علاقة التوكيد**، وتتضح هذه العلاقة من خلال هاتين الجملتين المستأنفتين: ﴿**وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا**﴾ [الآية: ٦٩]، (و): ﴿**وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾ [الآية: ٧١] فقد جاءت كل واحدة منهما تؤكد ما ورد قبلها من مفاهيم.

وقد تكون العلاقة الواصلة بين جملة: ﴿**وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا**﴾ [الآية: ٦٩] وما ورد قبلها هي **علاقة التعليل**. فعلة التبرئة أنه كان عند الله وجيهًا.

(القطعة الثانية)

وتمتد من الآية (الثانية والسبعين) إلى نهاية الآية (الثالثة والسبعين)

قال تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ[1] إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً[2]** {٧٢} **لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ[3] وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا[4]** {٧٣}﴾ [الآيتان: ٧٢ - ٧٣].

هاتان الآيتان هما القطعة الثانية في هذا المقطع، ويتكون بناؤها من أربع جمل أساسية، تماسكت مفاهيمها الجزئية وتلاحمت جميعها، وغيرها من الوحدات النصية عبر شبكة من العلاقات النصية.

والمتأمل المدقق في سياق هذه القطعة وسابقتها يلحظ وجه الصلة أو العلاقة بينهما. وبيان ذلك وتفصيله: أن الله تبارك وتعالى لما بين عظيم شأن طاعة الله تعالى ورسوله، وأن من يراعيها بالعمل فله الفوز العظيم، وأن من يتركها يستحق العذاب. أردف عظيم شأن ما تنال به تلك الطاعة من فعل التكاليف الشرعية، وأن حصولها عزيز على

النفس شاق عليها، ثم بين أن ما يصدر منهم من الطاعة، أو يكون منهم من إباء بعدم القبول والالتزام إنما يكون بلا جبر ولا إلزام.

ومن ثم كان الامتداد بين المفاهيم في القطعتين هو العلاقة القائمة بالربط والوصل بينهما.

وثمة خيط خفي يحتاج إلى التلطف في المطالعة، يربط بين مطلع هذه القطعة في هذا المقطع، وما ورد في القطعة الأولى من المقطع الأول في هذه السورة الكريمة، يمكن تبينه بالتأمل الدقيق. ففي القطعة الأولى من المقطع الأول وقعت التبعة والمسئولية على عاتق النبي ﷺ، حيث الخطاب الموجه إليه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ..... {١} وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ .....{٢} وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ .....{٣}﴾ [الآيات: ١ - ٣].

وجاء في خاتمة هذا المقطع ما يصور ويجسد هذه التبعة وتلك المسئولية؛ حيث عرضها على الكائنات ﴿السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ﴾ و**علة** ذلك: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ بإمكاناته. وما فعل ذلك تبارك وتعالى إلا: ﴿لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾، ﴿وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ و**العلة**: ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

«وبهذا الإيقاع الهائل العميق تختم هذه السورة التي بدأت بتوجيه الرسول ﷺ إلى طاعة الله وعصيان الكافرين والمنافقين، واتباع الوحي، والتوكل عليه وحده دون سواه. والتي تضمنت توجيهات وتشريعات يقوم عليها نظام المجتمع الإسلامي، خالصًا لله، متوجهًا له، مطيعًا لتوجيهاته»(١).

وهكذا انعطفت الخاتمة على المقدمة ؛ حتى صار نص السورة الكريمة سياقًا واحدًا، رغم تنوع المقاصد النصية فيها ، وتعدد الأغراض.

هذا، وقبل مغادرة البحث تحليل نص السورة الكريمة يوضح أنه كما ارتبط مطلع مقطعها الأول واتصل من خلال (علاقة الاستدعاء) بما ورد في خاتمة مقطع سورة السجدة ؛ حيث (التشابه والمناسبة) بينهما ، فإنه -كذلك - قد ارتبطت خاتمة مقطعها واتصلت بما جاء في مطلع مقدمة سورة سبأ.

وبيان ذلك وتوضيحه أنه - كما يقول الإمام البقاعي - :«لما ختمت سورة الأحزاب

---

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ٥/ ٢٨٨٥.

بأنه - سبحانه - عرض أداء الأمانة وحملها - وهي جميع ما في الوجود من المنافع - على السماوات والأرض والجبال؛ فأشفقن منها وحملها الإنسان الذي هو الإنس والجان ، وأن نتيجة العرض والأداء والحمل العذاب والثواب ، فعلم أن الكل مِلكه وفي مُلكه ، خائفون من عظمته مشفقون من قهر سطوته وقاهر جبروته ، وأنه المالك التام المُلك، والمِلك المطاع المتصرف في كل شيء من غير دفاع، وختم ذلك بصفتي المغفرة والرحمة، دل على ذلك كله بأن ابتدأ هذه - أي سورة سبأ - بقوله:﴿**الْحَمْدُ لله الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الآية:١] أي: الإحاطة بأوصاف الكمال من الخلق والأمر كله مطلقا في الأولى والأخرى وغيرهما مما يمكن أن يكون ويحيط به علمه سبحانه»[(١)]

وبعد... فقد تبين للبحث واتضح عبر هذا العرض الموجز مدى دور العلاقات النصية وفاعليتها في الربط والوصل بين أجزاء ووحدات لغة نص السورة الكريمة. هذا من جهة، وما ورد استدعاء من لغة سور النص القرآني الكريم، وهذه جهة أخرى .

والآن فلينتقل بنا البحث ـ عبر الجدول الإحصائي التالي ـ إلى حصاد يوضح بإيجاز خط سير التحليل النصي بالعد والترقيم لنص السورة الكريمة وما اشتملت عليه من وحدات نصية ، وكذا العلاقات النصية فيها .

---

(١) البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور٦/ ١٤٤

حصاد التحليل النصي والعلاقات النصية

الوحدات النصية						العلاقات النصية			
رقم المقطع	امتداد المقطع ومساحته (الآيات) (من-إلى)	عدد آيات المقطع	عدد القطع	عدد الأقطوعات	عدد الجمل	العلاقات النصية (المركزية المحلية)		العلاقات النصية (للامركزية الاستدعائية)	
						علاقات الترابط اللفظي	علاقات الترابط المفهومي	علاقات الترابط اللفظي	علاقات الترابط المفهومي
الأول	١ ٨	٨	٣	-	٢٨	٢٥	١٦	٣	٢
الثاني	٩ - ٢٧	١٩	٢	٤	٤٥	٢٥	٢٠	٣	-
الثالث	٢٨ -٤٠	١٣	٣	٦	٢٨	١٢	١٧	٢	١
الرابع	٤١ -٤٤	٤	-	-	٦	٢	٥	١	-
الخامس	٤٥ - ٤٨	٤	-	-	٦	٤	٢	١	١
السادس	٤٩	١	-	-	٣	٣	١	-	-
السابع	٥٠ - ٥٢	٣	-	-	١١	٣	٣	-	-
الثامن	٥٣ -٥٨	٦	٢	-	١٧	٥	٧	-	-
التاسع	٥٩ -٦٨	١٠	٢	-	١٣	٦	٥	١	-
العاشر	٦٩ -٧٣	٥	٢	-	٨	٢	٦	٢	-
المجموع ١٠	المجموع ٧٣	المجموع ٧٣	المجموع ١٤	المجموع ١٠	المجموع ١٦٥	المجموع ٨٧ + ٨٢ =١٦٩		المجموع ١٣ + ٤ = ١٧	
١٦٩ + ١٧ = (١٨٦) علاقة نصية									

وبعد هذا العرض الإحصائي الموجز لمجموع الوحدات النصية المتباينة وما تخللها من علاقات نصية ورد عددها في الجدول السابق يتبين لنا الآتي:

أولا:

١ - أن نسبة العلاقات النصية ذات الترابط اللفظي تمثل ٥٢٪ من المجموع الكلي للعلاقات النصية (المركزية المحلية).

٢ - أن نسبة العلاقات النصية ذات الترابط المفهومي تمثل ٤٨٪ من المجموع الكلي للعلاقات النصية (المركزية المحلية).

ثانيًا:

١ - أن نسبة العلاقات النصية ذات الترابط اللفظي تمثل ٧٥٪ من المجموع الكلي للعلاقات النصية (اللامركزية الاستدعائية).

٢ - أن نسبة العلاقات النصية ذات الترابط المفهومي تمثل ٢٥٪ من المجموع الكلي للعلاقات النصية (اللامركزية الاستدعائية).

ثالثا:

١ - أن نسبة العلاقات النصية (المركزية المحلية) تمثل ٩١٪ تقريبًا من المجموع الكلي للعلاقات النصية.

٢ - أن نسبة العلاقات النصية (اللامركزية الاستدعائية) تمثل ٩٪ تقريبًا من المجموع الكلي للعلاقات النصية.

ومن خلال ما تقدم يتضح ما يلي:

١ - أن ثمة تقاربًا بين نسبتي العلاقات النصية ذات الترابطين: اللفظي والمفهومي، وذلك من المجموع الكلي للعلاقات النصية (المركزية المحلية)؛ مما يجعلنا نقول: إن هناك تقاربًا بين ما ورد في البنية السطحية من ترابط وتماسك، وما ورد في البنية العميقة.

٢ - أن ثمة تباعدًا بين نسبتي العلاقات النصية ذات الترابطين: اللفظي والمفهومي، وذلك من المجموع الكلي للعلاقات النصية (اللامركزيةالاستدعائية)؛ مما يجعلنا نقول: إن هناك تباعدًا بين ما ورد في البنية السطحية من تماسك وترابط وما ورد في البنية العميقة.

٣- أن ثمة تباعدًا بين نسبتي العلاقات النصية ذات النمطين: (المركزي المحلي) و(اللامركزي الاستدعائي)، وذلك من المجموع الكلي للعلاقات النصية ؛ مما يجعلنا نقول: إن النص كلما تقاربت وحداته النصية زادت ووضحت – إلى حد ما - علاقاته النصية، وكلما تباعدت وحداته النصية قلت وخفيت - إلى حد ما - علاقاته النصية. وعلى المتلقي - حينئذ دون تعسف - البحث عن خيوط الصلة والربط بين هذه الوحدات النصية المتباعدة.

****